كتابة العربية بالحروف اللاتينية

الأبعاد التربوية والسياسية

بقلم

محمد الصاوي

مدرس مقررات اللغة العربية للشهادة الدولية *IGCSE*
عضو الرابطة الأمريكية لأساتذة العربية *AATA*

الكتاب/ كتابة العربية بالحروف اللاتينية
المؤلف/ محمد سعيد إسماعيل الصاوي
النشاط/ عضو الرابطة الأمريكية لأساتذة العربية aata

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

الملخص:
الكتاب عرض تحليلي ناقد لجذور الدعوة إلى إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية، ولتاريخ هذه الفكرة وتداعياتها في اللغات الإسلامية غير العربية قديما وحديثا، مع تركيز خاص على اللغتين الكردية والأمازيغية في الوقت الحاضر.
ثم تحليل ناقد لما يترتب على كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، من الناحية التربوية التعليمية ومن الناحية السياسية.
ينطلق المؤلف من مسلمة فكرية مؤداها أن الهوية ذات ثلاث شعب: هي اللغة والدين والتراث. وفي حالة الهوية العربية فإن هذه الثلاثية متداخلة متمازجة وليست متوازية.
وإن هناك في المقابل ثلاثية أخرى تقوم على الدعوة إلى العامية والدعوة إلى الحروف اللاتينية والدعوة إلى التغريب.
يحذر الكاتب من خطر فقدان الذاكرة الجماعي للعرب، إذا ما حلت الحروف اللاتينية محل الحروف العربية.

.....

- مقدمة
- نظرة تاريخية.
- اقتراح عبد العزيز فهمي وتداعياته.
- واقع الرسم في ظل التقنيات الإلكترونية.
- ماذا يمكن أن يترتب على شيوع الحرف اللاتيني؟
- اللغات غير العربية .
- الأمازيغية، والكردية في الوقت الحاضر.
- الشرق الأوسط الكبير: تجميع أم تفتيت؟

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

مقدمة

" ما الأخطار التي تنشأ من كتابة العربية بالحروف اللاتينية؟". جاء هذا السؤال في امتحان مقرر " قواعد الكتابة و الترقيم" الذي تدرسه جامعة القدس المفتوحة. الموسم الدراسي 2003

والبحث في " قواعد الكتابة والترقيم" بحث مشروع؛ لأن الرسم الكتابي نظام فرعي من نظام اللغة. و" تعلّم التهجئة جزءٌ مهم من تعلّم اللغة، فالكتابة الصحيحة كالكلام الصحيح تدل على مستوى الشخص من حيث التعليم والثقافة والتوظيف الأدبي للغة".(الموسوعة العربية العالمية، الإصدار الإلكتروني، 2004، مادة تهجئة. من موقع الموسوعة www.intaaj.net)

" وفي العربية عِلْمان يتناولان الموضوعات المتعلقة بالكتابة والتهجئة هما علم الإملاء وعلم الخط. وظيفة الأول بيان قواعد الكتابة، ووظيفة الثاني تجويدها وتحسينها". (السابق نفسه)

وأما البحث في الأخطار التي تنشأ من كتابة العربية بالحروف اللاتينية فهو بحث مبرر؛ بسبب أن واقعا جديدا فرض نفسه بعيدا عن التربويين وعن مجمع اللغة العربية. إنه واقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت). فهنالك بزغت لغة جديدة، لها مفرداتها و تراكيبها و أبجديتها. ومع انتشار ما سمي (بغرف الدردشة) صارت السرعة في الرقم على لوحة المفاتيح هي المهارة الضرورية للتواصل عبر الشبكة. ففي مواقع شتى يكتبون العربية بالحروف اللاتينية (انظر مثلا موقع اسمه طرب 6arab). و بسبب ضحالة المضمون وتفاهته، مع الحاجة إلى السرعة البالغة، فإن الشباب قد اصطنعوا كتابة خاصة جدًا ، " لا تعنى بالحركات وبالتشكيل، وبدرجة أقل بحروف العلة، متوصلين كذلك إلى سوء تفاهمات لا تحمد عقباها، وإلى فقر لغوي، بسبب أنهم يتجنبون المعقَّد من الكلمات أو المحتشد بالحركات منها. هؤلاء المستخدمون توصلوا وحدهم إلى أعراف موحَّدَة عن طريقة كتابة العربية بالحروف اللاتينية، فحرف الخاء يستعاض عنه برقم 5 ، وحرف العين يستعاض عنه برقم 3 " وحرف الحاء 7 ، وحرف الطاء 6 . هاكم بعض هذه الكتابات:

Kelma 3al waraq أي: كلمة ع الورق،
و El-ghayeb el-7ather أي: الغايب الحاضر،
و Ya nas 5alooni أي: ياناس خلوني،
و allah yentikim mn ely 7'alaha ta3mel keda. وركاكة العبارة ظاهرة.

وهؤلاء يمكن أن نطلق عليهم(العرب المستغربة)؛ فلا هم أجادوا اللغة الإنجليزية وتحدثوا بها، ولاهم أنصفوا اللغة العربية وتعاملوا بها ليجبروا العالم علي احترامها. اقترنت الحروف الأجنبية في أذهان الأجيال العربية بالتقدم العلمي، فهم يجدون في الأجنبي جمالاً ورهافة تستر نقصهم المعرفي وربما جهلهم بلغتهم، أو لأنهم يظنون بأنهم سوف يندرجون بذلك في معارج الحضارة والتعالي على مجتمعهم.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

وشاعت هذه الطريقة وبخاصة في تسمية الملفات، بسبب أن بعض الحاسبات لا تتعرف على الحرف العربي في أسماء الملفات خاصة، فتجد مثلا شركات الموسيقى تستخدم أسماء مثل:
3awedt 3aini أي : عودت عيني. و 7abeebi yes3id awaatoh أي: حبيبي يسعد أوقاته.

ولم يقتصر الأمر على هذا، فقد صار مألوفا على الشبكة أن تقرأ : assalamo alaykom أي: السلام عليكم. وليت هذا يقتصر على المواقع الإنجليزية أو الموجهة للناطقين بالإنجليزية فحسب، بل شاع الأمر في مواقع جادة مثل: islamonline . وبخاصة في الصفحات الخاصة بالحوار. وليس أمرا نادرا أن تقرأ لأحدهم يعتذر بسبب أن لوحة المفاتيح لديه لا تتعرف على الحرف العربي، فهو إما يكتب بالإنجليزية أو يكتب الكلمات العربية بالحروف اللاتينية.

وقد أعادت دار البستاني طباعة كتاب "الحروف اللاتينية لكتابة العربية" لعبد العزيز فهمي، بعد نصف قرن من صدوره أول مرة سنة 1944، وبعد أن أغلق مجمع اللغة العربية الملف برفض الاقتراح جملة وتفصيلا. وطبعة الكتاب الجديدة غير مؤرخة، لكنها تحمل رقم إيداع يدل على أنه طبع سنة 1993 أو بعدها.
وبناء على ما تقدم فإن الموضوع يستثير النظر ويستحق التأمل مجددا.

التصور الحاكم paradigm
قليلا ما يُلتفت إلى الدلالة في العناوين العامة التي تصدر تحتها مجموعة من الكتب، سواء لمؤلف واحد أو لمجموعة كتب لمؤلفين مختلفين. فعندما كتب أمين الخولي كتابه "مشكلات حياتنا اللغوية"، كان حريصا على أن يضع عنوانا عاما هو: "من هدي القرآن". وكذلك فعل مالك بن نبي، عندما أصدر معظم كتاباته تحت عنوان عام هو "مشكلات الحضارة".
والمعنى المستخلص من العنوان العام في المثالين السابقين هو وجوب الانطلاق من ركيزة أو رؤية كلية، أو مرجعية هادية تعصم المرء من الزلل، وتصونه من الاستغراق في التفاصيل التي تضيع معها المقاصد. وموضوع إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي لا ينبغي أن يكون بمنأى عن تصور حاكم.

وعن هوية الثقافة العربية كتب أحمد أبو زيد أن "المقومات الثلاثة الرئيسة هي: اللغة والدين والتراث. (أحمد أبو زيد، 2004، ص ص 21-44).* وفي حالة الثقافة العربية فإن هذه الثلاثية ليست متوازية بل متداخلة متمازجة. والخلل في أحد أركان الهوية العربية يصيب بقية الأركان بخلل مضاعف. وعليه فالبحث في واحد من أركان الهوية لا يجب أن يغيب عن سائر أركانها.

* يتم التوثيق داخل المتن بذكر اسم المؤلف، يليه سنة النشر، يليه رقم الصفحة

وهناك ثلاثية معاكسة مؤتلفة من ثلاث دعوات مترابطة، يترتب اللاحق منها على السابق، هي: الدعوة إلى العامية، والدعوة إلى الحروف اللاتينية، والدعوة إلى التغريب. ومن الضرورة المنهجية أن ينظر إلى تلك الدعوات في كليتها، غير منفصلة إحداها عن الأخريين.

مصطلحات

الألفباء: مجموعة من الحروف يستعان بها في كتابة اللغة. ويطلق على ترتيب نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر الترتيب الألفبائي{ أ. ب. ت. ث. ج. ح. خ. د. ذ. ر. ز. س. ش. ص. ض. ط. ظ. ع. غ. ف. ق. ك. ل. م. ن. هـ. و. ي.}

الأبجدية: مجموعة الحروف مرتبة ترتيبا قديما، استعمل لحساب الجمل، يسمى الترتيب الأبجدي. وترتَّب الحروف أبجديًا في المشرق العربي على النحو التالي: {أ. ب. ج. د. هـ. و. ز. ح. ط. ي. ك. ل. م. ن. س. ع. ف. ص. ق. ر. ش. ت. ث. خ. ذ. ض. ظ. غ.} والترتيب الأبجدي للحروف العربية في المغرب هو كالتالي:{ أ. ب. ج. د. هـ. و. ز. ح. ط. ي. ك. ل. م. ن. ص. ع. ف. ض. ق. ر. س. ت. ث. خ. ذ. ظ.غ. ش.}.

التهجئة: وسيلة تعليمية للنطق، تعتمد على تجميع الحروف لتكوين الكلمات. وهي أيضا تقطيع الكلمة إلى حروفها المكونة لها، مع نطق هذه الحروف حرفا حرفا. وحروف التهجئة هي نفسها الألفباء أو الأبجدية. (راجع هذه المصطلحات في الموسوعة العربية العالمية، المداخل المذكورة)

الخط : اصطلاح يستعمل بمعنيين: بمعنى الألفباء أو الأبجدية،فيقال الخط اللاتيني والخط الديموطيقي والخط العربي، وهكذا. والمعنى الثاني: الفن التشكيلي الإبداعي، فيقال الخط الفارسي والخط الديواني وخط النسخ وخط الثلث، وهكذا. والمعنى الثاني لا يتصور ولا يكون إلا في وجود الأول.

نظرة تاريخية

بعدما دخل المسلمون الأندلس، لم تمض ثلاثون سنة حتى أصبح الناس " يخطون الكتب اللاتينية بأحرف عربية، كما كان يفعل اليهود بكتبهم العبرية. وما انقضى عمر رجل واحد حتى ألجأتهم الحاجة إلى ترجمة التوراة وقوانين الكنيسة إلى العربية؛ ليتمكن رجال الدين أنفسهم من فهمها". (مصطفى صادق الرافعي، 1997،ج 1، 293). وهنالك لم يقل أحد بعدم صلاحية الحروف العربية لكتابة اللغة اللاتينية. ويستفاد من النص السابق أن إلغاء الكتابة بأبجدية لغة معينة يجعل ما كان قد كتب بها غير ذي معنى في غضون جيل واحد فقط.

وبعد ثمانية قرون حدث أن " كان المتنصرون من المغاربة في ذلك العهد– أيام محاكم التفتيش – يكتبون العربية بأحرف أسبانية، وهم أذلاء محتقرون من أنفسهم ومن المسيحيين، فحظر عليهم فيليب الثاني سنة 1556 استعمال العربية". (السابق، ص 300). إنما يتذكر أولوا الألباب.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

أما في المشرق العربي فقد تأخر الهجوم الجريء على العربية و الخط العربي إلى أن دب الضعف في الدولة العثمانية. ففي سنة 1896 نشرت مجلة المقتطف اقتراحا لجميل صدقي الزهاوي أسماه ∀الخط الجديد∀ (عبد الجبار القزاز، 1981،190). وأعجب ما في موقف الزهاوي أنه كان مدركا تماما أن "القرآن الكريم وكتب الحديث مكتوبة بخطنا القديم، فإذا تبدل الخط اقتضى أن يبدل خط القرآن وكتب الحديث". كما أنه كان مدركا أنه إذا شاع اقتراحه بتبديل الخط فإنه لن يبقى أحد يقرأ الخط العربي؛ " فتعطل كل كتبنا العلمية والأدبية كأن لم تكن شيئا مسطورا". ولم يجد الرجل كلاما يدفع به المخاوف، سوى أن يقول إنها اعتراضات بمعزل عن الصواب. (السابق نفسه).

أما **كارل فولرس** K. Vollers الذي تولى إدارة دار الكتب المصرية خلفاً **لولهلم سبيتا** Wilhelm Spitta، فقد طالب بنبذ العربية الفصحى و بضرورة الكتابة بالعامية، ووضع كتاباً أسماه ≈اللهجة العربية الحديثة↔ طالب فيه ليس بإحلال العامية محل الفصحى فحسب بل باستعمال الحروف اللاتينية لدى كتابة العامية أيضاً!

والمستشرق الإنجليزي **سلدون ولمور** Seldon Willmore الذي تولى القضاء بالمحاكم الأهلية بالقاهرة إبان الاحتلال البريطاني لمصر، أصدر في 1901 كتاباً يدعى ∀ العربية المحلية في مصر∀ طالب فيه باتخاذ العامية المصرية لغة أدبية بدلاً من الفصحى ووضع قواعد لها. ودعا إلى كتابتها بالأحرف اللاتينية. وكما لم يجرؤ أحد من دعاة العامية على كتابة آرائه وأفكاره في أي من كتبه باللهجة العامية، بالمثل لم يكتب أحد دعاة الحروف اللاتينية أو غيرها كتابا بالحروف المقترحة؛ لأنه يعلم قبل غيره أنه بذلك يحكم على كتابه بالموت ساعة ولادته.

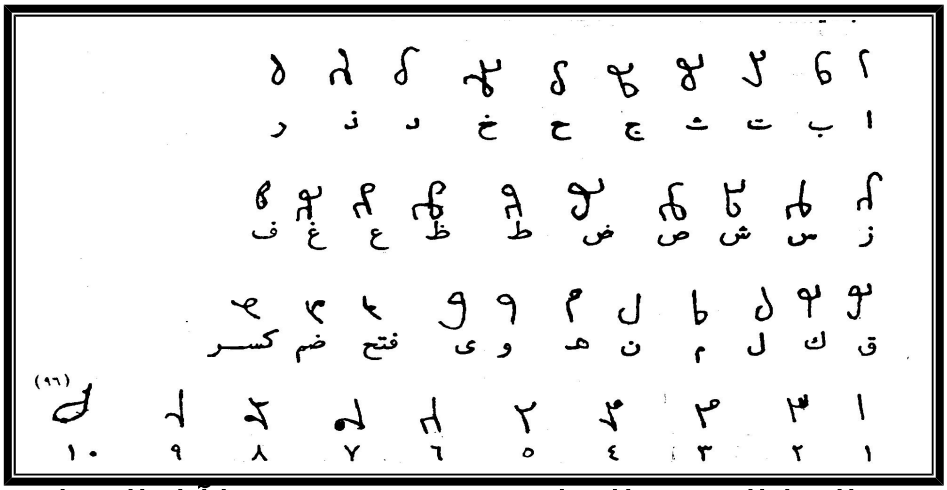

صورة ∀ الخط الجديد∀ للزهاوي سنة 1896 تبدو فيها آثار العدوان على الإبداع والجمال والهوية معا.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

وبعدما تبين تهافت الدعوة إلى العامية، علا صوت رديف يدعو إلى استخدام الحرف اللاتيني. ففي باريس (كوليدج دي فرانس) ألقى المستشرق الفرنسي **لويس ماسينون** (Louis Massignon (1883-1963 محاضرة في جمع من الشباب العربي عام 1929م، جاء فيها: " إنه لا حياة للغة العربية إلا إن كتبت بحروف لاتينية".

وفي العام نفسه 1929 نشرت مجلة ∀ لغة العرب∀ السؤال الآتي: ∀ ما رأيكم في تبديل الحروف العربية من الحروف اللاتينية∀؟ . وأردف صاحب السؤال أنه من القائلين بتبديلها لأنها في نظره ∀عقبة كأداء في سبيل تطورنا الأدبي والاجتماعي∀. (عبد الجبار القزاز،1981، 196). وجاء الجواب من الأب أنستاس الكرملي أن ∀ في تصوير كلامنا العربي بحروف لاتينية منافع ومضار∀. لكن من أهم ما جاء في رد الكرملي أنه كان واعيا بدور القوة القاهرة في فرض الهيمنة الثقافية لنمط بعينه، فقال: ∀ ونحن نرى أنه يأتي يوم تشيع لغة واحدة في العالم كله، وهذه اللغة تكون لسان الأمة القهارة الجبارة.. إذن لابد من كتابة العربية بحروف لاتينية، شئنا أم أبينا∀. (السابق نفسه). وانظر مناقشة جذور الفكرة في (محمد محمد حسين، 1956، الجزء الثاني، ص ص 357– 363)؛ فكل من جاء بعده ناقل عنه في هذا الموضوع.

وقد تحمس لهذه الفكرة وتبناها عبد العزيز فهمي؛ فدعا إلى (إحلال) الحروف اللاتينية محل الحروف العربية ، وطرح فكرته هذه في الجلسة التي عقدها مجمع اللغة العربية في 3 مايو سنة 1943م " (نفوسة زكريا، 1964، 208)

وكانت قد أشيعت الشكوى من صعوبات الرسم الإملائي العربي، لدرجة أن لائحة مجمع اللغة العربية نصت على أن من مهام المجمع "البحث في أمر تيسير الكتابة العربية". ولكن ربما غاب عن الكثيرين أن اللائحة لم تنص على "وأد الكتابة العربية" ولا على "استعارة كتابة تحل محل الكتابة العربية".

وقد أعلن المجمع عن جائزة مالية لمن يقدم اقتراحا. وتسابق الناس باقتراحاتهم – كما يتسابقون اليوم بمبادراتهم (الديموقراطية)– ثلاثة وعشرون اقتراحا رفضها المجمع كلها.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

صورة تمثل محاولة لتبسيط الكتابة للمبتدئين، وتبرز الفارق بين التبسيط والإلغاء

اقتراح عبد العزيز فهمي

قدم عضو مجمع اللغة العربية عبد العزيز فهمي إلى مؤتمر المجمع في جلستي 24 و 31 يناير سنة 1944 ورقة عنوانها: *" اقتراح اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية"*. وطبعت الورقة بالمطابع الأميرية في فبراير 1944.

ومما يسترعي الانتباه أن عبد العزيز فهمي قدم اقتراحه في 39 صفحة، لكنه سوَّد في الدفاع عن الاقتراح 136 صفحة. ويبدو من ردود العلماء وأصحاب الأقلام أن الرجل كان مبجلا في القوم؛ فلم يكن متهما في دين ولا خلق ولا وطنية. لكنه حقا صَدَم الناس باقتراحه ذاك أي صدمة. ومرد هذا الشعور بالصدمة قد يكمن في أمرين أساسيين:

أولهما أن هذا الاقتراح ليس من ابتكار عبد العزيز فهمي، بل سبقه إليه "**داود الجلبي الموصلي**" سنة 1905 ميلادية. فقد نشر في تلك السنة ∀ رسالة بالتركية في "استانبول" حث فيها الترك والعرب والإيرانيين على استعمال الحروف اللاتينية∀ (محمد شوقي أمين 1977، 28).
بعدها برزت دعوة المستشرق الفرنسي∀ لويس ماسينون ∀ : ∀لا حياة للغة العربية إلا إن كتبت بحروف لاتينية∀.

الأمر الثاني: أن صورة كمال أتاتورك – الذي ألغى سنة 1924 الخلافة والحروف العربية والأذان– قد صارت مرادفا للعداء الصريح للإسلام والعروبة. فكيف يجرؤ شخص على اقتفاء آثار أتاتورك في إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي؟. وإذا كانت المسالة خاصة بحروف الكتابة فلماذا منع صوت الأذان بالعربية؟! . راجع (لوثروب ستودارد Lohtrop Stoddard،1971، ج 3، ص ص 389–393) .

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

وقبل ماسينيون، وقبل أن يتقدم عبد العزيز فهمي باقتراحه، كان المستشرق الأمريكي ∀ريتشارد لوتهيل∀ قد كتب في مجلة الهلال سنة 1902 يرفض كل محاولة لكتابة العربية بالحرف اللاتيني، ويسفه كل دعوة إلى ذلك. أما المستشرق الإيطالي كارلو نالليno (1872 – 1938) فقد فند الفكرة من أصلها واعترض عليها في مجلة الهلال أيضا سنة 1936. (السيد رزق الطويل، 1986،ص ص 104- 107)

ولما جهر عبد العزيز فهمي بالدعوة، كان من أبرز الذين تصدوا للرد على الفكرة وتفنيدها محمد كرد علي، وإسعاف النشاشيبي، وإسماعيل مظهر. راجع(أنور الجندي، 1983، ص ص 90-102)
كذلك ناقش الفكرة وأبان عوراتها "عباس محمود العقاد" عضو مجمع اللغة العربية آنذاك (عباس محمود العقاد، 1982 ، ص 9، ص ص 37- 42) و (العقاد 1988، ص ص 64- 67).
كما دحضها عبد الوهاب عزام (أحمد تمام، موقع islamonline) .
وكتب محمود محمد شاكر ردودا علمية - في أدب جم - أثبت بها أن الدعوة إلى الحروف اللاتينية إنما تأتي بعكس ما يراد من التيسير(محمود محمد شاكر، 2003، ص ص 258-264).

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

ملحق رقم ١

بيان أحرف الهجاء العربية مرسومة بالأحرف اللاتينية وما يلزم منها العربية مع أسمائها

ألف	ا		زاي	ز		قاف	ق	
باء	ب		سين	س		كاف	ك	
تاء	ت		شين	ش		لام	ل	
ثاء	ث		صاد	ص		ميم	م	
جيم	ج		ضاد	ض		نون	ن	
حاء	ح		طاء	ط		هاء	هـ	
خاء	خ		ظاء	ظ		واو	و	
دال	د		عين	ع		همزة	ء	
ذال	ذ		غين	غ		ياء	ى	
راء	ر		فاء	ف				

أما أحرف الحركة فهي :
(ـَـ) للفتحة و (ـُـ) للضمة و (ـِـ) للكسرة .

وأما الأحرف التي لا شبيه لنظيرتها في العربية فهي :

ويلاحظ أن الحروف المرسومة هنا هي حروف عادية أما الكبيرة اللاتينية (majuscules) فمعروفة، وتكتب الحروف المأخوذة من العربية بتكبير رسمها عالية رؤوسها دون كاساتها .

الحروف المقترحة لعبد العزيز فهمي

وقد افتتح عبد العزيز فهمي كتابه بوصف خصومه بأنهم "الدهماء" أو يصانعون الدهماء. (ص 2). لكن عندما تحفز المستشرق هاملتون جب Gibb لإيصاد الباب في وجه الاقتراح، قال عنه عبد العزيز فهمي إنه رجل من أهل التدقيق والتحقيق، وإن الرجل العظيم لا يرضى عن نفسه إلا إذا حملها أشد المشاق.(ص 178)

ورفض الفكرة كذلك "متى العقراوي" سنة 1945، ونعتها بأنها "انقلاب". (عبد الجبار القزاز،1981 ، ص ص 206-207). كما رفضها أيضا "منير القاضي" سنة 1958 ووصف الأسباب و العلل الداعية إلى استبعاد الرسم المعمول به وإحلال الحروف اللاتينية محله بأنها أسباب " تافهة كل التفاهة، وعلل هي علل وأمراض انتابت قلوب الذاهبين إلى هذا الرأي". (السابق ص 218) أما عبد العزيز الصويحي فقد خلص إلى القول إن مشروع كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية "مشروع لا يستسيغه العقل ولا يقبله المنطق، ولا يصلح حتى لمجرد النقاش" (عبد العزيز الصويحي، 1989، ص 307).

ملاحظات على اقتراح عبد العزيز فهمي وكتابه :

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

- قدم الاقتراح في صيغة الجزم واليقين الذي يجافي روح النظر العقلي والتأمل الواقعي للأمور. وصيغ الاقتراح بشكل طموح مبالغ فيه؛ فقد توقع أن تزول كل الصعوبات دفعة واحدة، وأن تسلس القراءة للصغار والكبار، عربا وعجما، مثقفين وعوام. (عبد العزيز فهمي (د.ت) ص 10)
- إن شكوى المستشرقين من عسر القراءة لا يمثل ضرورة تلجئنا نحن إلى اتخاذ حروفهم اللاتينية لكتابة لغتنا العربية.
- تكلم المؤلف عن وعورة اللغة العربية ، ودلل على ذلك بكلام كثير عن اختلاف لغات العرب. ولم يتبين من كلامه أية علاقة للناطقين بالعربية اليوم بحكاية لغات العرب الأقدمين. ألسنا اليوم أمام لغة هي في وصف القرآن "بلسان عربي مبين"؟ أليس ما حواه القرآن هو لسان العرب الذي لا يُعلم لسان سواه؟
- ما شأننا اليوم بلهجات العربية الأولى؟ وما دخل هذا باتخاذ اللاتينية لرسم العربية؟
- لماذا لم يكتب المؤلف كتابه بالحروف التي يقترحها، ثم لينظر أيقرأه أحد من الناس أم لا؟ ما أشبه موقفه هنا بموقف الداعين إلى الكتابة بالعامية. لقد كانوا يكتبون بالفصحى كتبا تروج لاتخاذ العامية لغة للكتابة والتعليم!!
- وقع المؤلف في خطأ مزدوج عندما قال على سبيل الحصر والتوكيد : "إن الكتابة الراهنة إنما تصلح لتصوير العامية فقط". فهل كان يقبل ضمنا بأن تصير العامية هي اللغة المكتوبة؟
- يعزو المؤلف صعوبات القراء كلها إلى الرسم الإملائي وحده (ص 35) والحق أن الرسم لا يمثل سوى قرينة واحدة من مجموعة قرائن تتضافر ليكوّن منها القارئ معنى المقروء.

- إن الرسم الإملائي لون من الاصطلاح. ومن شرائط المصطلح ا لجيد "الشيوع" و"الملاءمة". فأما كتابة اللهجة الدارجة فقد عرف من المحاولات أنها غير ملائمة. وأما كتابة الكلمات العربية بحروف لاتينية فهذا شأن بعض المستشرقين، وما يفي بأغراض المستشرقين لا يفي بأغراض أبناء العربية.

- يتكئ المؤلف على عبارة يكررها ويتشبث بها، هي قول علي الجارم: " إنك إن لم تكن لغويا نحويا صرفيا معا لعجزت عن أن تكون قارئا أو شبه قارئ." (ص 38) و لن يخفى على اللبيب أن قائلها إنما قالها على سبيل المبالغة والتهويل. ولو كانت عبارة الجارم تُفهم على حرفيتها لما أمكن للجارم نفسه أن يكون قارئا أو شبه قارئ.
- الاستناد إلى لائحة مجمع اللغة العربية لا يمكن أن يعني إلا البحث في سبل " تيسير الكتابة"، وليس إلغاء رسم الكتابة العربية إلغاء ينفيه من الوجود إلى مصلحة الآثار.
- يعلمنا التاريخ أن **لوثر** في ألمانيا قد كافح من أجل كتابة الأناجيل بلغة الجماهير. واقتراح كتابة العربية بالرسم اللاتيني يؤدي بالضرورة – حال تعميمه – إلى نشوء فئة من (الإكليروس) بين المسلمين، يمكنهم وحدهم قراءة النصوص الأصلية.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

- بقدر ما جوبه به المؤلف من ردود عنيفة، كان هو نفسه مغاليا في تقدير قيمة مقترحه، إذ قرر أن طريقته تحقق المصلحة أبلغ تحقيق (السابق ص 28)
- بدلا من أن يعرض المؤلف اقتراحه عرضا وافيا، راح يكتب مساجلات وردود على من عارضوه. فخرج الكتاب سجلا للمناظرات حول الموضوع، من غير تفصيل وبيان لفحوى الاقتراح وكيفية نزوله إلى واقع الأداء اللغوي.

- أساس الاقتراح هو إظهار حركات الإعراب في رسم الكلمات بحروف تدل على الفتحة والضمة والكسرة والسكون. وقد تجاوز واقع الأداء اللغوي المعاصر عن تحقيق ضبط أواخر الكلم؛ لأن حركات الإعراب ليست سوى قرينة واحدة من بين قرائن شتى تعين على تفهم الكلام.

- كان من المناسب أن يخرج عبد العزيز فهمي اقتراحه في ثوب من التواضع يليق بتواضع مضمون الاقتراح نفسه. وكان الأجدر به - إن كان مصرا – أن يجعل لاقتراحه عنوانا من قبيل: "اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم ثلثي الكتابة العربية"، لأن الرجل بعد كل العناء أبقى على عشرة أحرف عربية كما هي. كما أبقى على علامات التنوين العربي كما هي {ً ٍ ٌ} . كذلك أبقى على علامة التضعيف (الشدة) {ّ}. وإذا تخيلنا الحروف اللاتينية مزينة بعلامات تنوين الفتح والضم والكسر، فالأمر يكون قد خرج من الجد إلى الهزل.
- فات صاحب الاقتراح أن اللغة أعراف و مواضعات، وليس في مقدور أحد أن يقلب الأعراف بمجرد اقتراح. كما فاته أيضا أن اللغة تشيع بالاستعمال لا بالاقتراحات.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

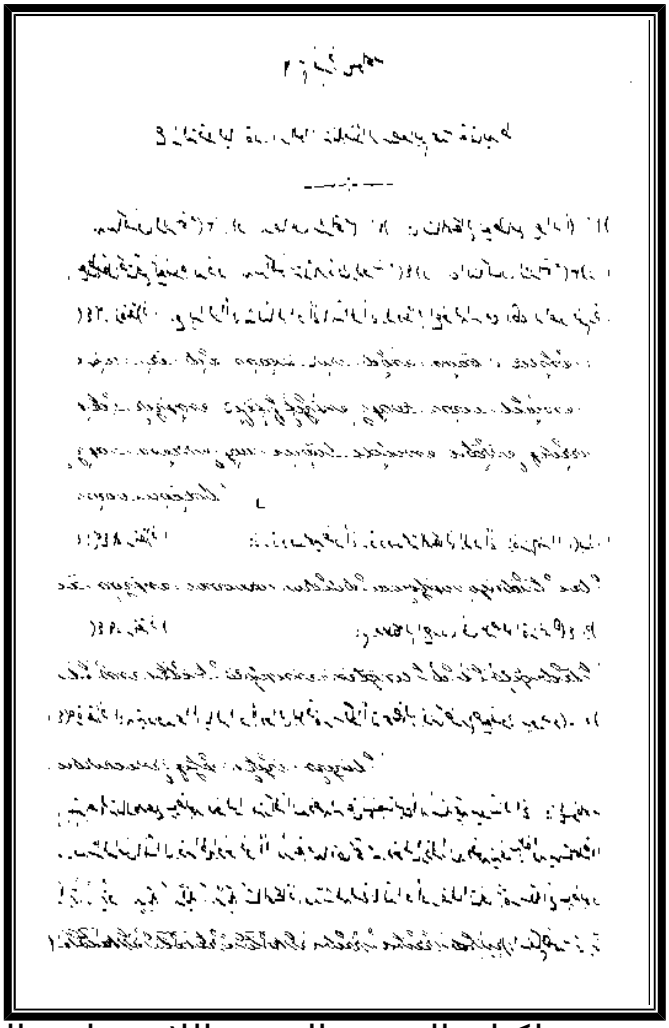

الطريقة المقترحة لكتابة العربية بالحرف اللاتيني لعبد العزيز فهمي
- إن مفهوم البساطة ليس مرادفا لمفهوم السهولة. والقاعدة اللغوية الأبسط ليست دائما هي الأسهل في الاستعمال. ألم يكن من الأبسط في الإنجليزية إلغاء حرف S)) في المضارعة مع المفرد؟ وألم يكن من الأبسط أن يصاغ الماضي من كل الأفعال، والجموع من الأسماء، على قاعدة واحدة مطردة؟

- تحدث المؤلف عن أن هاديه الوحيد هو عقله، لكنه في الصفحة العاشرة من كتابه المكون من 186 صفحة يقفز فجأة وبدون مقدمات كافية إلى القول: " فكرت جديا في الأمر وقلبته على كل وجوهه، فاتجه فكري إلى النظر في اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم العربية. فنظرت واستيقنت أن لا محيص من هذا الاتخاذ، إنقاذا للعربية من مساوئ رسمها " . هذا الكلام قيل في ظل الاحتلال الغربي لبلاد العرب، وما يصاحب الاحتلال من "امتيازات" للغربيين في المجتمعات العربية. ولو كان الوضع معكوسا لرأى كثير من أصحاب المقترحات أن الرسم العربي هو أصلح رسم لكتابة اللغات قاطبة.
- من قال إن نظام الكتابة لابد أن يخلو من المصاعب؟ أليس من الجائز أن يكون أحد أنظمة الكتابة – برغم مثالبه – هو أنسب النظم لكتابة لغة بعينها؟

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

- يمثل المؤلف لمصاعب الرسم العربي بأن العربية تختزل أربع كلمات في رسم كلمة واحدة، مثل: "علمتنيه". فمتى كان الاختزال عيبا ونقيصة؟ لقد ورد في المقارنة بعض الكلمات العربية والفرنسية والإنكليزية، بما يبرز فضيلة الاختزال :

العربية وحروفها	الفرنسية وحروفها	الإنكليزية وحروفها
أم 2	Mère 4	Mother 6
أب 2	Père 4	father 6
أخ 2	frère 5	brother 7

- ذكر المؤلف العنت الذي يعانيه المثقفون في تلاوة القرآن. وغاب عنه أنه عنت ناشئ عن قلة المران والتدريب والممارسة. و غاب عنه أن تلقي القرآن لا شأن له بالرسم، لأن للقرآن خصوصية في تلقيه. فمن أراد أن يكون ماهرا بالقرآن فلابد له من عمليتي (التحمّل والأداء) أو التلقي والعرض. التلقي عن حافظ متقن، ثم العرض عليه. ثم إن السؤال هنا هو: هل تيسير تلاوة القرآن يتحقق بكتابة المصحف بالحروف اللاتينية؟

- كل ما قيل عن الصعوبات في الطباعة صار كلاما غير ذي موضوع، وبخاصة بعد تطور تقنيات الطباعة. و بفضل تزاوج تقنيات الليزر والحاسوب صار من الميسور طباعة كل ما يمكن تصوره من حروف وأشكال ورموز، مهما كانت الأحجام والأوضاع والتشكيلات.
- لم يحدث قط أن تخلى قوم عن رسم كتاباتهم إلى رسوم غيرهم بدعوى الرغبة في ذيوع اللغة بين غير الناطقين بها.

- قيل عن الاقتراح إنه يهدف إلى " تخطي المشكلات العديدة التي تواجه الكتابة بالحروف العربية من ناحية، وتوسيع دائرة انتشار اللغة العربية حتى تصل إلى أركان الدنيا كلها من ناحية ثانية". ترى هل انتشرت اللغة التركية في أركان الدنيا كلها؟!

- بعدما أطال المؤلف الكلام عن مثالب الحروف المنقوطة في العربية، وعن عدم أمن اللبس بسببها وبسبب الحروف المتشابهة، إذا هو يثبت في اقتراحه الإبقاء على رسم الحروف { ع غ ط ظ ج ح خ } كما هي، بما فيها من التشابه والنقط. (ص 184). فكيف يظل عنوان الاقتراح – برغم ذلك – " الحروف اللاتينية لكتابة العربية"؟
- ترى هل تبقى أسماء الحروف التي غيرت إلى الرسم اللاتيني على تسميتها العربية؟ هل نسمي حرف (S) السين، أم هل نسمي حرف (Q) القاف؟ . وفي ظل واقع تدريس اللغة الإنجليزية بالمدارس الحكومية الرسمية من الصف الأول الابتدائي، هل يمكن تعليم الطفل نظامين للأبجدية بينهما تشابه ظاهري، مع الاختلاف في تسمية الحروف، ومع الاختلاف في طريقة استعمالها؟
- كيف يميز الحرف اللاتيني المقترح بين كتابة (على) و (علا)، أو بين (عصا) و(عصى)؟

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

- لقد وضع اقتراح عبد العزيز فهمي أمام مرآة مقعرة، بحيث يخيل أنه من الضخامة ما يبدو معه أضعاف أضعاف قدره في واقع الأمر.
- تتجه كتابة الكلمة بالحرف اللاتيني من الشمال إلى اليمين، فهل يكون تتابع الكلمات كذلك من الشمال إلى اليمين؟ لم ينص في الاقتراح على شيء من ذلك، لكن النموذج الوارد في ص 186 يدل على ما اختاره صاحب الاقتراح، فقد كتب من الشمال إلى اليمين بحروف لاتينية ما يقترحه لرسم قول القائل:

" خير البر ما تعهد به المرء نفسه، وخير بر النفس أن تربأ بها عن مواقف الاعتذار." ثم قول الشاعر: السيف أصدق إنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب.

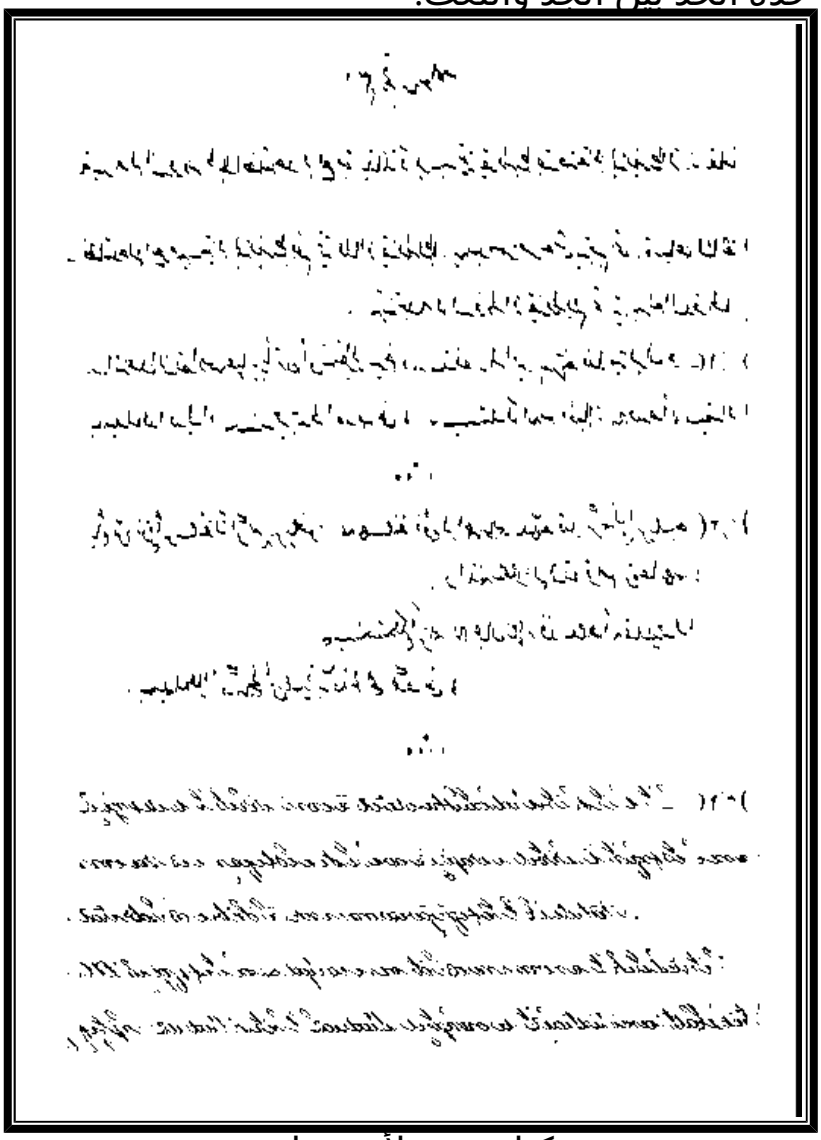

كتابة بيت لأبي تمام

- إن الكتاب قطعة أدبية بديعة النسج. وهو في ذات الآن محاورة ذهنية بارعة السبك. لكن المؤلف حام حول فكرة ولم يبلغها. والمضمون الفعلي للاقتراح يفتقر إلى القدرة على الإقناع.
- هدم الرجل اقتراحه بنفسه عندما قال: "والذي عنّ لي، بعد طول التفكير، أن الهمزة والجيم والحاء والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

والغين، هذه الأحرف العشرة يجب أن تؤدى بذات رسمها العربي. ومن المصادفات أن هذا الرسم يتمشى مع رسم الحروف اللاتينية ويتسق معها كل الاتساق". (ص 155)
- الحرف اللاتيني لن يبقى لاتينيا، وإنما سيصبح بالضرورة تلفيقا، إذا أريد له أن يصور مخارج النطق العربي.

أصداء الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني

- **"إبراهيم حمودي الملا " وكتابه "طباعة اللغة العربية بالحروف اللاتينية"**
- **"عثمان صبري" و كتابه " نحو أبجدية جديدة"**
- **"الجنيدي خليفة" وكتابه " نحو عربية أفضل"**
- **"سعيد عقل" ومحاولاته**
- **"أنيس فريحة" المعجب بعبد العزيز فهمي**

في غيبة تصور حاكم جعل بعض الأشخاص يرددون كلام عبد العزيز فهمي عن معايب الرسم الإملائي العربي. فكتب إبراهيم الملا سنة 1956 يزعم أنه بعد ثماني سنوات من الدراسات [العلمية العميقة] والإحصاءات [الدقيقة] اهتدى إلى ابتكار نوع [جديد] من الحروف. (عبد الجبار القزاز،1981، 217).
مثال من الحروف المقترحة لإبراهيم الملا (السابق، 218)

التلفظ بالحروف اللاتينية	a	a	aa	b	t	th	j	h
الحروف المقترحة	i	!	i1	b	t°	x	j	G
الحروف العربية	أ	إ	آ	ب	ت	ث	ج	ح

ثم كتب عثمان صبري (وكيل محكمة استئناف سابقا) كتابا سنة 1964 قال عنه إنه: " دراسة عامة لتاريخ الكتابة وعيوبها، تنتهي باقتراح أبجديتين صوتيتين مثاليتين، مطلوب من القارئ أن يختار إحداهما لتستعمل بدلا من الأبجدية الحالية التي ساعدت على تفشي الأمية، وتعوق سير العلم والحضارة في العالم العربي". (عثمان صبري، 1964، صفحة الغلاف)
وبعد موقف مجمع اللغة العربية من مقترح عبد العزيز فهمي، حاول الكاتب أن يقرر أن إصلاح الكتابة العربية ليس من اختصاص المجمع. ثم أعلن عن خطته التي تتلخص في استصدار أمر من رئيس الدولة على غرار قرار أتاتورك (ص ص 6-7) لكنه كان برغم ذلك حريصا على القول إن فكرة الكتاب لديه سابقة على قرار أتاتورك، وسابقة أيضا على اقتراح عبد ا لعزيز فهمي! (ص 13)
نسب الكاتب إلى فكرته كل المزايا فقال إن اقتراحه يحقق : " محو الأمية ونشر العلم والتقريب بين الطبقات وتيسير الكتابة وضبط القراءة للنشء الحالي والأجيال القادمة" (ص ص 17-18) قبل كلامه عن التقريب بين الطبقات ذكر أن تغيير الأبجدية سيؤدي إلى "حياة ديموقراطية اشتراكية"!! (ص 6)
ويؤكد على أنه "إن لم تستبدل الأبجدية العربي الحالية اليوم (1964) فلابد أنها ستستبدل غدا، فإن ساعتها آتية لا ريب فيها" (ص 19)

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

ومثلما لم يجرؤ – بل لم يستطع – عبد العزيز فهمي أن يدون كتابه بالحروف التي اقترحها، لم يجد عثمان صبري في الحروف التي اقترحها القدرة على تدوين كتابه. فكيف يأتلف في ذهن العقلاء أن يدون رجل كتابا بحروف يقول هو عنها:

"لا مناص لإصلاح الكتابة العربية الحاضرة من تجديد تام، وأول خطوة في هذا التجديد هي هدم القديم. وأنه لابد لهذا الإصلاح من الأخذ بعلاج أساسي جذري، أي إجراء عملية بتر واستئصال يستعاض فيها عن الحروف الحالية بحروف جديدة، على أسس كتابية مناسبة لها، وأنه لا فائدة ترجى من معالجة الحروف والكتابة الحالية وترقيعها" (ص 269). فهلا أخرج للناس صفحاته الأربعمائة مكتوبة بما يراه هو صالحا من أبجدية؟! . ما كان له أن يفعل، لأنه تعلم الدرس من عبد الحميد التاجي الفاروقي، الذي أصدر في لندن سنة 1959 كتابا جعل عنوانه: " طريقتو جديدتو لي التهجيأتي والكتابتي في اللوغتي العربيتي". ولأنه أيضا لمس مشاعر الخجل التي عانى منها أحمد لطفي السيد بعد أن اقترح سنة 1899 وضع الحروف اللينة بدل علامات الشكل في الكلمات على شاكلة: (موحاممادون) و (موحاممادان) و(موحاممادين). وقد صار الرجل فيما بعد رئيسا لمجمع اللغة العربية، وأدرك فداحة الاستهتار بالعظائم. وهذا ما جعل عثمان صبري يطلب إقصاء مجمع اللغة العربية عن مناقشة الموضوع. (ص ص 363-374)

عندما يقول عثمان صبري (وكيل محكمة استئناف): "يجب علينا عندما نفكر في إصلاح الكتابة العربية ألا نذكر من الأبجدية الحالية إلا عيوبها، وأن نتناسى وجودها" (ص 278) فهل يصدقه القارئ عندما يتمثل على صفحة الغلاف الداخلية بعبارة تقول: " أعتقد أن دراستنا الاجتماعية يجب ن تكون خالية من الغرض تماما، فلزام علينا أن نزاولها بنفس التجرد الذي نزاول به العلوم الرياضية" ؟!

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

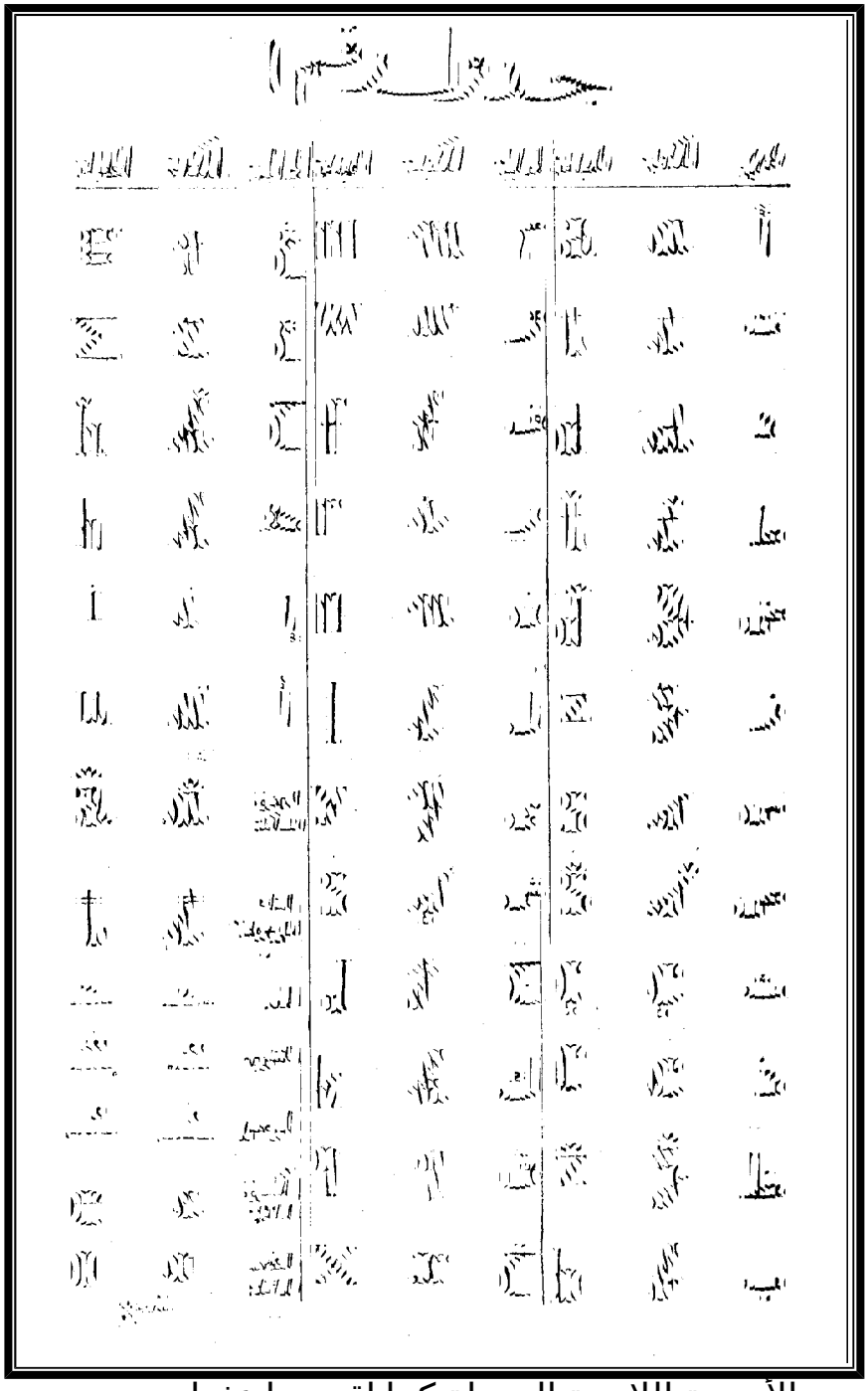

الأبجدية اللاتينية المعدلة كما اقترحها عثمان صبري

الفرق بين الاجتهاد والهذيان

على عادته في المبالغة والتهويل ظن عثمان صبري أن باستطاعة الجيل الحاضر أن يتعلم الأبجدية اللاتينية في أسبوع (ص 217) . أما السقوط – وما أشق السقوط على وكيل محكمة – فهو ما تخيله الرجل بتعبيره :" لم تراع في رسم المصحف الإمام الأصلي قواعد كتابية أو إملائية، فكتابته تنم عن أنها كتبت اعتباطا" (ص 218)

وفي المقابل يذكر المؤلف أنه مطمئن إلى أن "الأبجدية المقترحة قد بلغت حد الكمال" (ص 330) وقبلها قال عنها: "يتساوى في دقة قراءتها المبتدئ والأجنبي والعلامة في اللغة العربية" (ص 303).

” إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها “

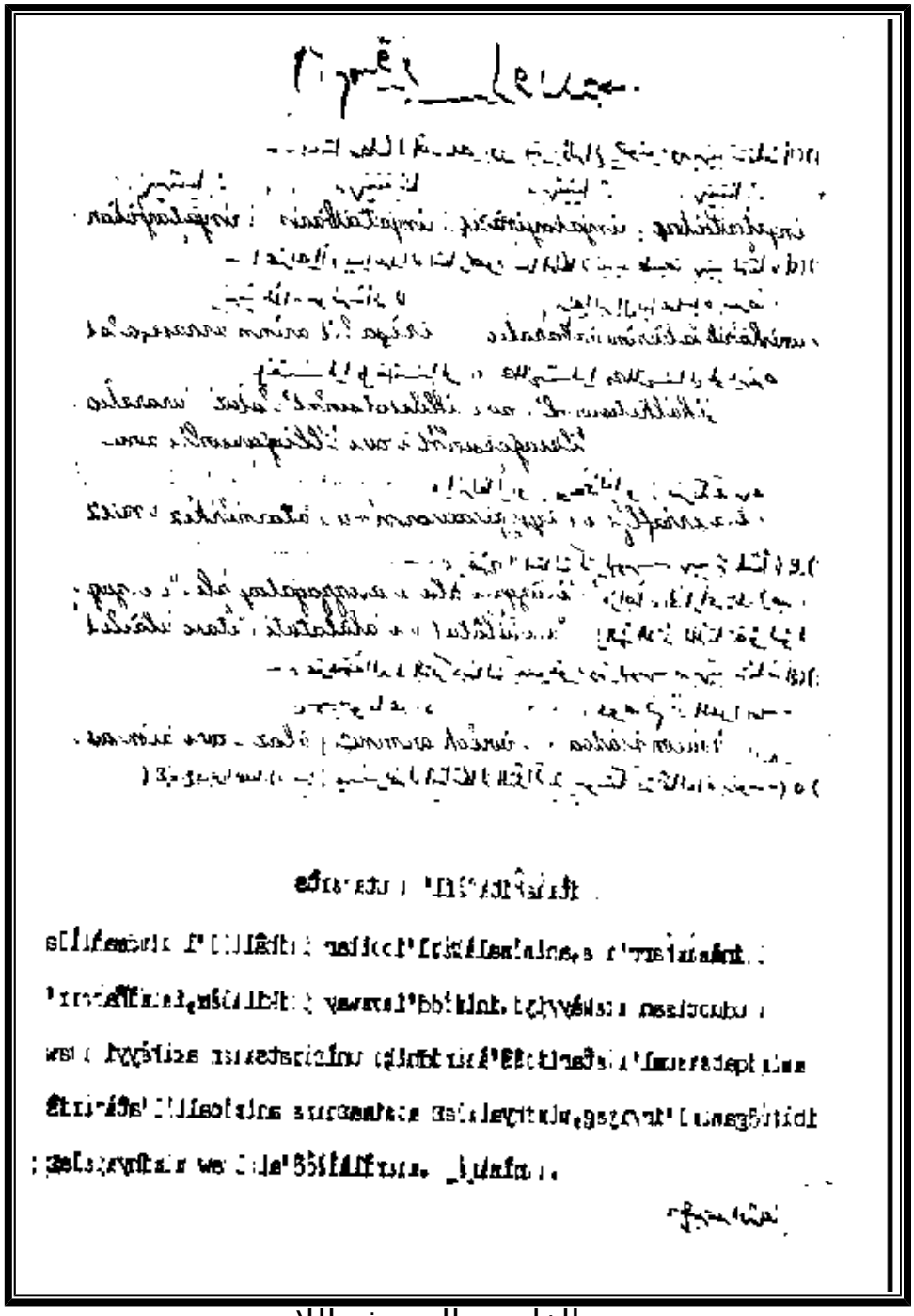

سورة الفاتحة بالحروف اللاتينية

وبعد عرض الجدولين قال: "هذه الأبجدية الجديدة المقترحة هنا خالية من كل نقص أو عيب يوجه إلى الأبجدية الحالية أو غيرها، بما فيها الألفباء اللاتيني، قديمه (كالفرنسية والإنجليزية) والمستحدث منه (كالتشيكية والمجرية) مع أن هذا الألفباء هو الركاز الذي قامت ولاتزال تقوم عليه الثقافة الغربية حتى اليوم. وهذا مما يتيح لي أن أقول واثقا مطمئنا – وبلا فخر – بأنها جاءت على أحسن صورة أخرجت للناس" (ص 306)

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

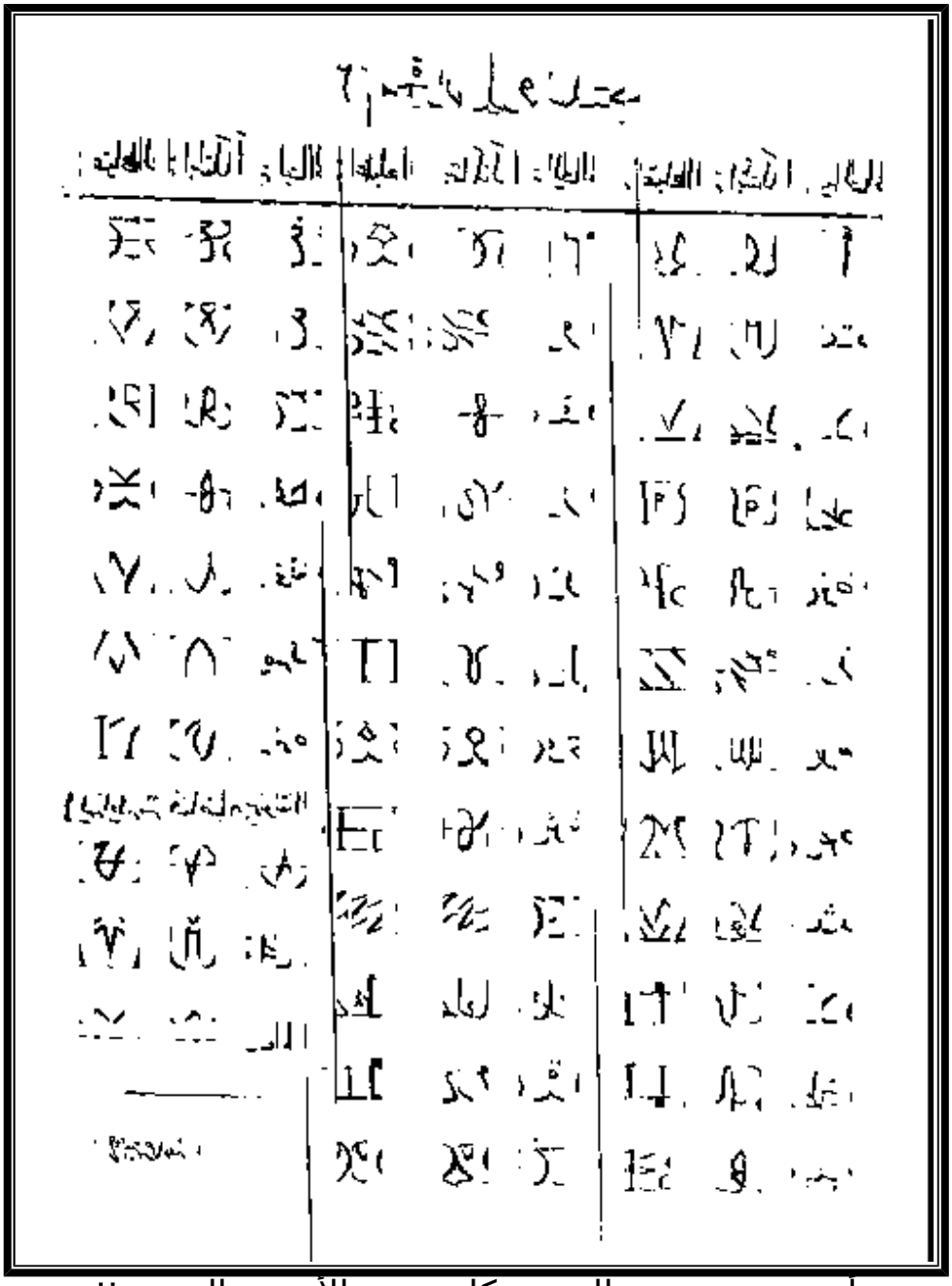

أبجدية مقترحة خالية من كل عيوب الأبجدية العربية !!

لقد قالها المستشرق الألماني " كافماير": "إن قراءة القرآن العربي و كتبَ الشريعة الإسلامية قد أصبحت مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية".(السيد رزق الطويل، 1986، 101)

” إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها “

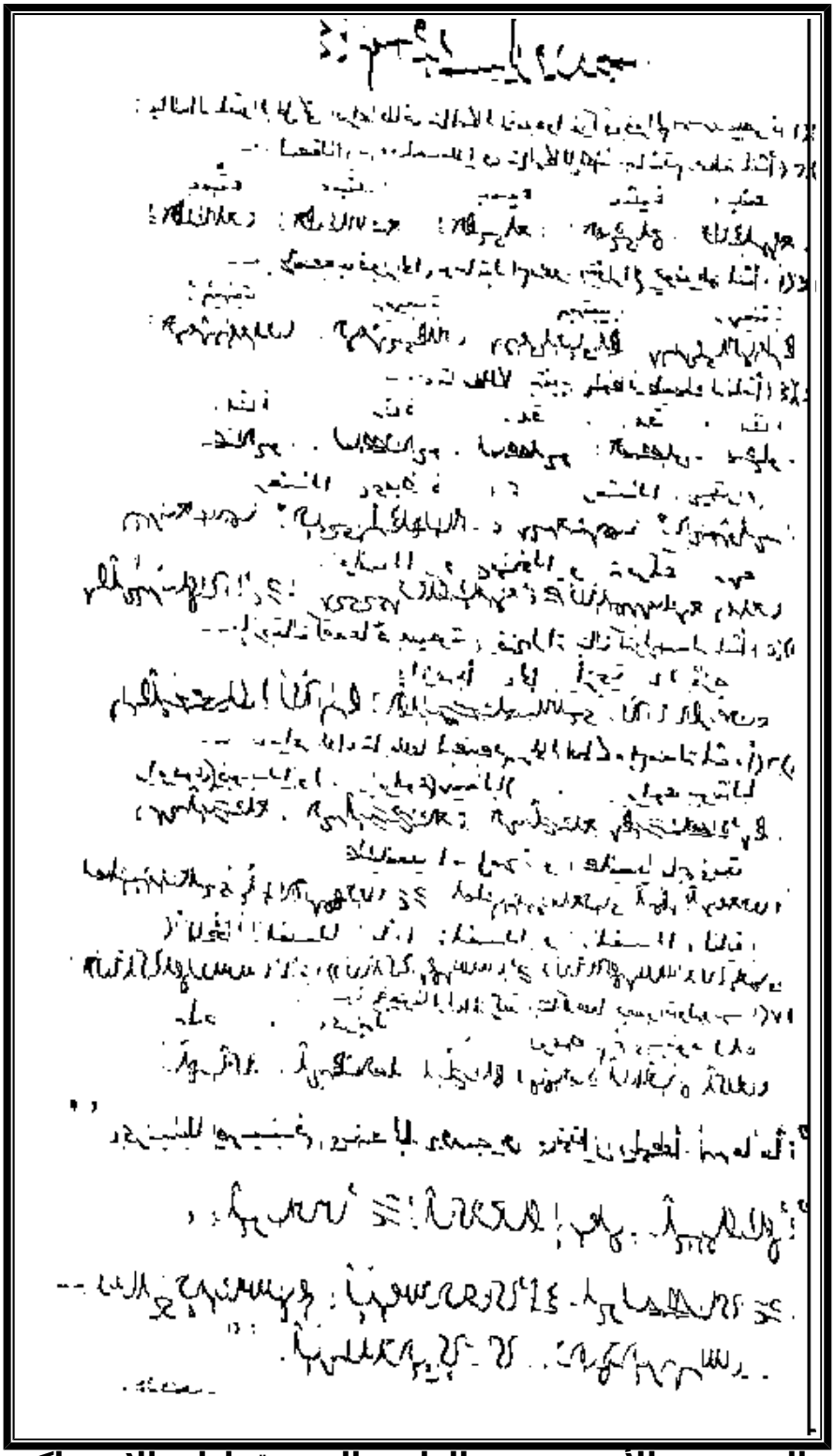

الأبجدية التي تمحو الأمية وتنشر العلم و الديموقراطية الاشتراكية وتقرب الفوارق بين الطبقات !!

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

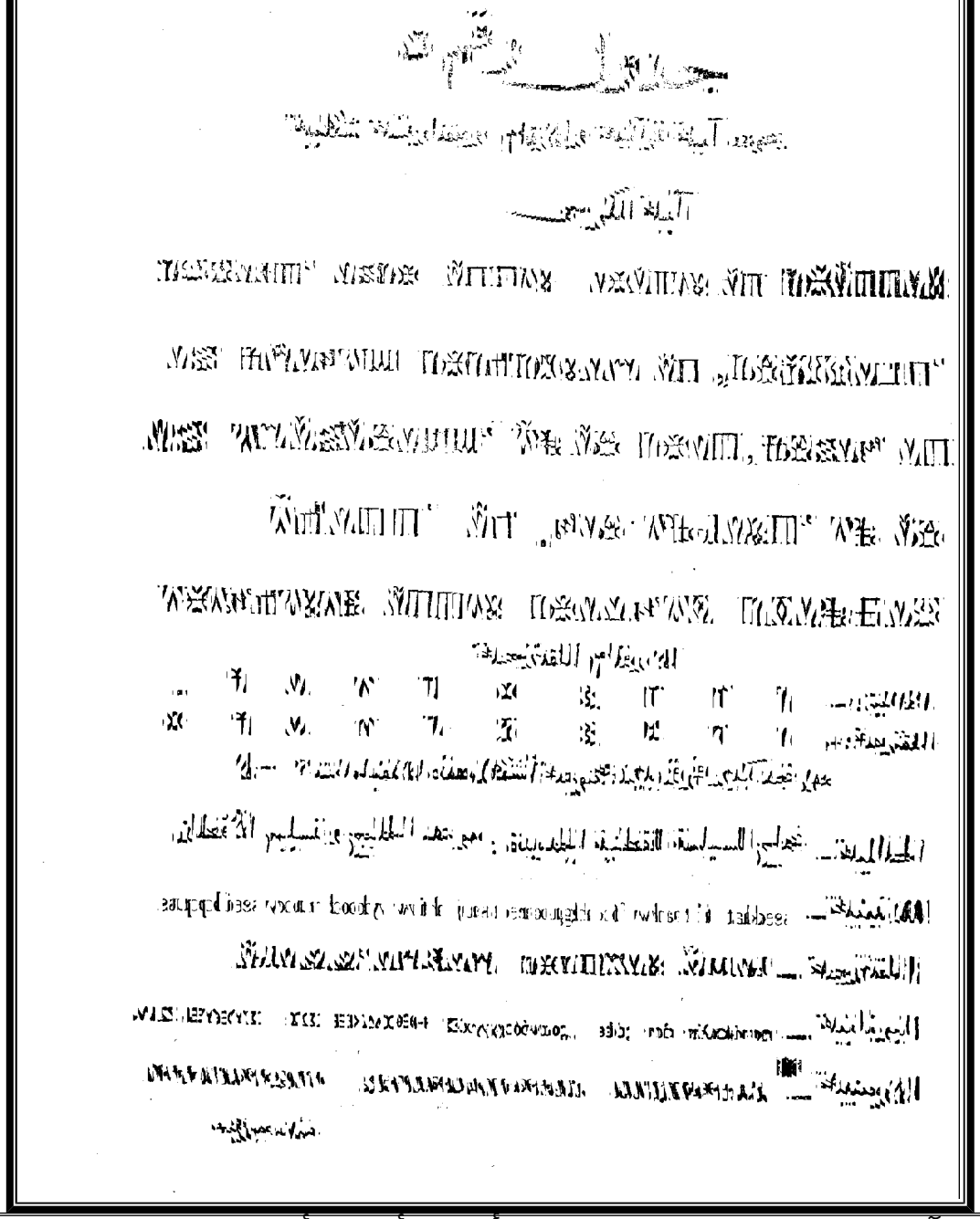

آية الكرسي كتبها عثمان صبري بأحسن أبجدية أخرجت للناس !!

- **الجنيدي خليفة: نحو عربية أفضل**

ردد الجنيدي خليفة - درَس بالزيتونة في تونس- كلام سابقيه عن معايب الحروف العربية، لكنه برغم ذلك يرى أن الدعوة إلى إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي " دعوة مخالفة تماما ومناقضة لكياننا القومي والحضاري" (الجنيدي خليفة، (د.ت)، 32). لكنه أفصح عن رغبته في الأخذ بالأرقام المستخدمة في أوربا (ص 42).

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

واقترح الجنيدي أن يبقى الحرف العربي، مع التعبير عن الحركات بأرقام يوضع في عقب كل حرف للدلالة على الحركة، كما يأتي:

للضمة رقم (1)	فتكتب كلمة حُب	ح 1ب
للفتحة رقم(2)	فتكتب كلمة فَهم	ف 2هم
للكسرة رقم(3)	فتكتب كلمة مكرِم	مكر 3م
للتضعيف رقم(4)	فتكتب كلمة سكَّر	سكَ 24 ر
للسكون رقم(5)	فتكتب كلمة بيت	بي 5 ت

كما اقترح أن تكتب الهمزة على السطر مطلقا ، مع ضبطها عند الحاجة، فتكتب قرأ (قرء 2). (ص 54).
واقترح أن يستفاد من فكرة الحروف المقطعة للاختصار abbreviation (ص ص 57-61)
وخير تعليق على ما اقترحه هؤلاء هو قولة العقاد : "لا خير في دعوة يتولاها العجز العقيم والضغينة النكراء" (اللغة الشاعرة،(1988) ، 45)

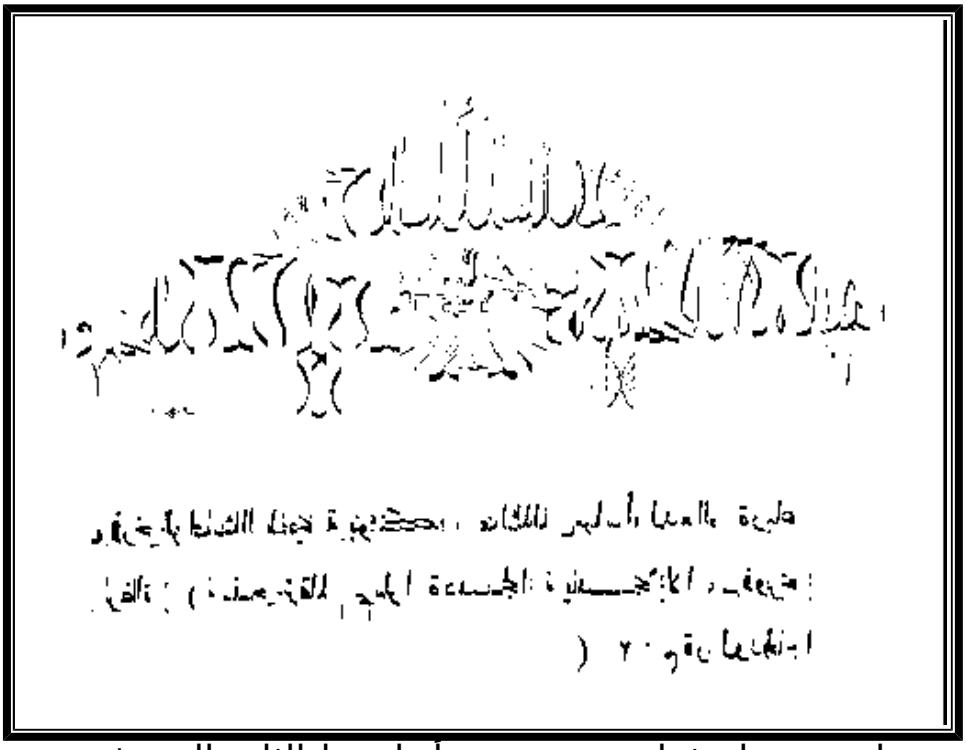

لوحة بخط عثمان صبري زعم أنها بخط الثلث الزخرفي

- **"سعيد عقل" ومحاولاته الكسيحة**

على خلاف السابقين نفذ سعيد عقل اقتراحا لكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، فكتب بالحروف اللاتينية المعدلة كتابا أسماه "يارا" صدر سنة 1961. كان الكتاب دليل الفشل الأبرز للفكرة برمتها. ولم يتشبث سعيد عقل بما اقترحه، وعاد يكتب بالعربية وبأبجديتها الأصيلة.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

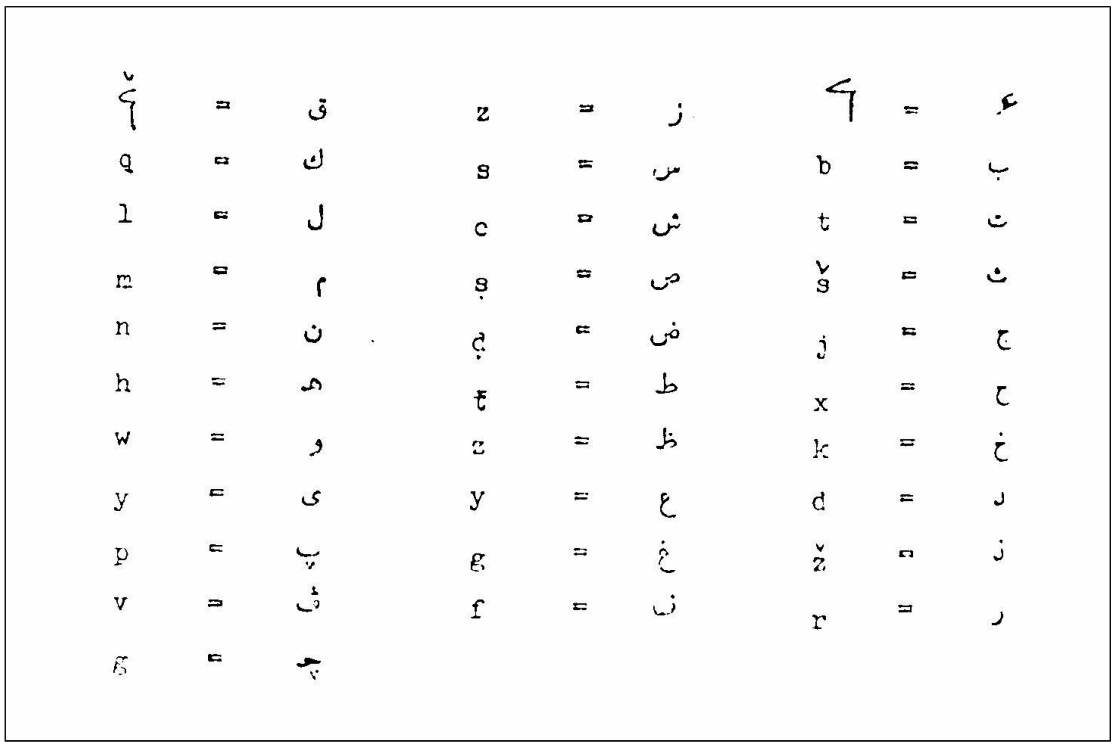

الحروف اللاتينية كما اقترحها ذات يوم سعيد عقل

- **"أنيس فريحة" المعجب بعبد العزيز فهمي**

تحمس فريحة لاقتراح الكتابة بالحرف اللاتيني، وهو يعتبره الحل (الوحيد) لمشكلة ا لخط العربي! ويعدد مزاياه في أنه حرف (جميل)! شائع عالميا، وأنه (مثالي) ، يحل مشكلة الحركات، وييسر الاقتباس من اللغات الأجنبية. من الجلي أن فريحة قد أغفل عامدا أن جمال الحروف العربية لا يضارعه جمال أية حروف معروفة. وربما لم يشأ أن يعترف أن الحرف العربي حرف عالمي، كتبت به لغات البلقان وبلدان في آسيا ومعظم أفريقيا. وأن اقتراح الكتابة بالحرف اللاتيني يعقد مسألة الحركات. وسيأتي بيان ذلك تحت عنوان: ماذا يمكن أن يترتب على شيوع الحرف اللاتيني؟ (راجع: إميل يعقوب، 1986، ص ص 86-89)

واقع الرسم في ظل التقنيات الإلكترونية

ذات حين كانت مسائل اللغة تعرض على مجمع اللغة العربية و وزارة المعارف، لكننا اليوم نجد مستخدمي الإنترنت لا ينتظرون قرارا من أحد. أصبح من المألوف في (غرف الدردشة) استخدام لوحة المفاتيح اللاتينية في كتابة اللغة العربية، فتجد assalamo alaykom بدلا من "السلام عليكم" . وهذه هي العملية المقابلة لكتابة الإنجليزية بالحروف العربية، مثل: [شوبنج سنتر] . لكن الفارق بين الحالتين أن معلمي الإنجليزية كانوا دوما يزجرون من يعبث بالأبجدية اللاتينية زجرا عنيفا، أما على الجانب الآخر فإن الأغنام قد تولى رعيها الذئب.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

إن شركات تطوير البرامج تعمل دونما التفات إلى أي من المجامع اللغوية، وأظن أن العكس أيضا صحيح. والمجامع اللغوية منشغلة بقضايا ليس من بينها تطويع التقنية للغة أو توافق اللغة مع التقنية.

ولست أظن أن مقررات الحاسب أو تكنولوجيا المعلومات في مدارسنا تشتمل على دروس في استخدام لوحة المفاتيح العربية. وعموما نجد أن استعمال الحاسب قد صار مألوفا إلا في حصص اللغة العربية، مما كون انطباعا بأن العربية لا تتوافق مع تكنولوجيا الحاسبات، أو لا توافقها هذه التكنولوجيا. وما لم ينتبه مصممو المناهج إلى لوحة المفاتيح العربية فإن جيلا لاتينيا سوف يسود في بلاد العرب.

بفضل التآزر بين تقنية الليزر وتقنية الحاسوب، صار من الميسور تماما رسم كل ما يخطر بالذهن من أشكال أو رموز أو حروف. وبذا تبطل الحجج القديمة عن مشكلات صندوق الطباعة. و لا يبقى سوى حجة صعوبة الرسم الإملائي بالنسبة لمن يكتب بيده. وهذه حجة مردودة؛ لأن الكتابة مسألة اعتياد.
" زعم الخبراء أن تعدد أشكال الحرف العربي مع اختلاف موقعه في أول الكلمة ووسطها وآخرها يمثل عقبة أمام تطور الطباعة العربية. وقد ثبت تهافت هذا الرغم ، فقد تطورت الطباعة العربية متواكبة مع الطباعة في العالم دون إدخال تغيير جوهري على شكل الحرف العربي ، بل أصبح شكله الطباعي أكثر جمالاًورشاقة ووضوحاً" (سناء الحمد بدوي عضو اتحاد الكتاب بمصر)

وعن تطور الحاسبات ينقل الكاتب عما سمي بالخط المبسط "الفكرة أو الدعوة التي نشرتها مؤخراً مجلة (أبل) التي تصدر بالعربية (المجلد الثالث ، العدد السادس والعشرون ، نوفمبر 1993 م ، ص 8 - 1) أطلق عليها المجلة اسم (الخط العربي المبسط) ، ودعت قراءها المهتمين بالموضوع إلى عرض آرائهم واقتراحاتهم وهو منحى محمود من المجلة التي تحمل اسم شركة) أبل) العالمية.
وتذكر المجلة أن من أهم مواصفات الخط المثالي تتلخص في أن يكون مختزلاً وأن يرمز له لكل صوت برمز خاص ، وأن تكون رموز متباينة الأشكال لكيلا يقع القارئ في الالتباس ، وأن تحتفظ حروفه بأشكالها أياً كان موقعها في الكلمة. "
ولكن أيا ما كانت ملاحظات الخبراء عن الخط المقترح، فلم يقترح أحد كتابة العربية بالحرف اللاتيني.

أما "مستشرقو عصر المعلومات" فهم "المنافحون عن تعدد اللهجات العربية" كما يسميهم تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003، ص 125. و هي الحال التي يسميها نبيل علي شَرذمة اللغة العربية". (نبيل علي ، 2003، 68)
إن شركة مايكروسوفت تقدم بالفعل برامج الكتابة العربية word تمايز بين ما تسميه "عربية مصر" و"عربية السعودية" و "عربية قطر" و "عربية

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

لبنان" و "عربية الجزائر" و "عربية العراق". هذا كله في إطار الكتابة بالأبجدية العربية، فكيف تكون الحال إذا قررت إحدى الحكومات اعتماد الحرف اللاتيني؟ وكيف ستسير الأمور إذا وقع الخلاف على طريقة موحدة لكتابة العربية بالحرف اللاتيني؟ سيكون العرب أمام مشهد (كرنفالي)، بعض البلدان تعتمد الحرف اللاتيني، و بعضها تبقي على الحرف العربي. والبلدان التي تقرر استخدام الحرف اللاتيني ستقع ضحية عدم الاتفاق على قواعد قياسية موحدة لكتابة العربية بالحرف اللاتيني. فمن المقرر أن توحيد الحرف لا يضمن توحيد طرائق استعمال الحرف.

لقد استفادت العربية جمالا بسبب جهود الخطاطين العظام من الترك والفرس والهنود. فهؤلاء كتبوا بالفارسية والتركية والأردية روائع لوحات الخط بالأبجدية العربية. وقد كان فن الخط ولا يزال يجعل من كتابة المصحف الشريف غايته العظمى. وسيكون يوما سعيدا لشركات البرمجيات – وبخاصة مايكروسوفت – يوم يقرر العرب أو بعضهم كتابة العربية بالأبجدية اللاتينية. و ذلك لأن برمجة الخطوط العربية حاسوبيا أمر يقف دونه ندرة الخطاطين البارعين، ناهيك عن ندرة الكفاءات العليا في عمليات البرمجة.

وليس من المستبعد أن تشجع أمثال شركة مايكروسوفت الاتجاه نحو تبني الأبجدية اللاتينية؛ فهي عندئذ المستفيد الأول. حقا شهدت الخطوط العربية أخيرا تطورا كبيرا على الحواسب، لكن ما يزال هذا التطور دون تطلعات الاختصاصيين في فنون الخط العربي. ولم يخفف من حنق الخطاطين عشرات المواقع الإلكترونية المختصة في فنون الخط العربي.

خطر ترك الأبحاث عن اللغة العربية بيد غير العرب

أصبحت البرمجيات المتعلقة باللغة العربية والحاسوب ذات طابع تجاري. وقد أدركت ذلك الشركات الكبرى ومراكز الأبحاث الغربية ، لذلك فهي تقوم بأبحاث ثرية متعلقة باللغة العربية وتنتج برامج تباع لمن يتعامل مع اللغة العربية على الحاسوب أو عبر الإنترنت. وهذه تنشر ثقافات وتثبت قواعد وأسس لها ما بعدها وما يستند إليها وتوجه التعامل مع الحاسوب وجهاتٍ ليست في صالح العربية ولكن هي في أحسن أحوالها وجهات ذات أهداف تجارية. وقد تشيع لهجات عامية أو انحراف عن القواعد النحوية أو انحراف في معاني ألفاظ عربية عن معناها المعتمد في اللغة.

لذلك فإن خدمة اللغة العربية عبر التقنيات الحديثة لا تتم إلا بأيدي أبنائها من خلال مراكز أبحاث رصينة أو جامعات عربية تفهم اللغة وتدافع عنها وتحمل همومها. كما كتب(محمد زكي محمد خضر) .

وجدير بالإضافة هنا ما أشار إليه نبيل علي من أن "إسرائيل تقحم نفسها حاليا في أمور تعريب نظم الإنترنت والترجمة الآلية من وإلى العربية". (نبيل علي، 2003، 67)

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

كتب عماد الدين حسين في موقع "المختصر" 09/01/1424
" إننا انهزمنا في معركتنا الراهنة مع أميركا قبل أن تنطلق الرصاصة الأولى من البندقية الأمريكية بشهور كثيرة. هذه الهزيمة المبكرة ليس سببها فقط كما يعرف الكثيرون انقسامنا وتشرذمنا وغياب إرادتنا، وتحالف بعضنا مع الأجنبي على حساب شقيقه، أو لتخلفنا الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، بل هناك أيضا سبب آخر لا يلتفت إليه كثيرون. هذا السبب في تقديري هو هزيمتنا الإعلامية، وتسليمنا برواية عدونا" . ما يسميه الكاتب هنا بالهزيمة الإعلامية هو في حقيقته الهزيمة اللغوي عينها.
ثم أضاف : " وسائل إعلامنا من فضائيات إلى صحف إلى إذاعات بل ومواقع الكترونية تعاملت مع المادة الإعلامية القادمة من واشنطن ولندن وكأنها «قرآن منزل» تتولى نشرها دون أي تمحيص" . أي إن الكاتب هنا يشير إلى الوظيفة الفكرية للغة. فهل يضاف إلى هزائمنا هزيمة جديدة تحت لافتة الحرف اللاتيني؟ لم لا ؟ ألم تبدل قوات الاحتلال أسماء الشوارع في العراق؟

- **ماذا يمكن أن يترتب على شيوع الحرف اللاتيني؟**

من الناحية التعليمية العملية:

1- كيف ستكتب بالحروف اللاتينية كلمات مثل: (عاهدتم) (عدتم)؟. إن كتبت كما تنطق صارت (عاهتم) و (عتم) . وفي هذه الحال كيف يمكن للتلميذ أن يتعرف على أصلها الصرفي أو مادتها المعجمية؟
2- تميز الكتابة بالحروف اللاتينية بين أل الشمسية وأل القمرية، فتثبت الثانية منهما فقط خطأ. فهل تكتب كلمة (السماء) بالحروف اللاتينية كما لو كانت (أسْسَماء)؟. وهكذا في أشباهها (أصصباح، أننضال، أششخص) بدلا عن (الصباح، النضال، الشخص). وفي حال شيوع الحروف اللاتينية محل العربية، هل سيدرك التلميذ ما إذا كان الاسم معرفا بأل أم لا ؟ . معلوم أن تعريف الاسم بأل يترتب عليه قواعد لغوية من مثل: أنه لا يقبل التنوين ، ولا يقبل الإضافة، ويجر بالكسرة إن كان ممنوعا من الصرف، ويتوصل إليه في النداء بكلمة أي.
ويجب أن يكون الكاتب عارفا بكلا نوعي اللام. أما الكتابة بالأبجدية العربية فتثبت أل في الحالتين خطأ، بغض النظر عن كونها ملفوظة أو غير ملفوظة. فالحاصل إن الخطأ في الكتابة سوف يشيع بسبب عدم التمييز بين نوعي أل.
3- سوف تتعاظم أخطاء الكاتبين مع همزتي الوصل و القطع. فإذا اعتمدت الحروف اللاتينية التي تفرق بين رسم همزة الوصل و القطع، فإن جهل المرء بنوعي الهمزة سيؤدي إلى الخطأ لا في القراءة فحسب، وإنما في الكتابة أيضا .
4- أما تاء التأنيث المربوطة فسوف تكون في الرسم اللاتيني معضلة تضاف على معضلات الرسم العربي التي أفاض في تصويرها المنادون بنبذ الأبجدية العربية أو بتطويرها. ويحق للمعلم في الصفوف الأولى أن يسأل: كيف سيعلم التلاميذ كتابة التاء المربوطة في نهاية الكلمة، وهي تنطق هاء حال السكوت عندها، وتنطق تاء عند الوصل؟

” إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها “

5- كيف ترسم الكلمات بالحروف اللاتينية بإثبات الحركات (الضمة والفتحة والكسرة والسكون) بحروف تدل عليها ضمن بنية الكلمة؟ وأنى للكاتب والقارئ أن يدركا الحرف الساكن الذي يجب تحريكه بسبب التقاء الساكنين؟
6- إذا كان للمرء أن يحلم بطريقة للكتابة تصور النطق تصويرا حقيقيا دقيقا، فإنه يحمل الكاتب أو القارئ ما لا يطيق. فهل من المقبول أن تتحول صور الكلمات: (أنبياء أنباء انبهار) إلى (أمبياء، أمباء، امبهار) ؟ ترى هل يطيق التلاميذ شرح قواعد الإقلاب في الصوتيات العربية؟.
7- فيما يتصل بضبط بنية الفعل فالأمر أدهى وأمر. فمن من الطلاب اليوم يتمكن من ضبط بنية الفعل ؟. فهناك من صيغ الأفعال:
(فَعَلَ يفعَل) من باب رفع يرفع. و (فَعَلَ يفعُل) من باب نصر ينصر. و (فَعَلَ يفعِل) من باب عدل يعدل. و (فَعِلَ يفعَل) من باب نفد ينفد. و (فَعُلَ يفعُل) من باب حلم يحلم. وهذه فقط أمثلة من صيغ الفعل الثلاثي وحده. فكيف يتسنى للطفل - والحال كذلك - أن يحسن الكتابة " في مدة وجيزة لا تتجاوز شهرين أو ثلاثة" ، كما يقول عبد العزيز فهمي؟

أمثلة من الواقع

تلفت "حسناء القنيعير" الأنظار إلى واقع كتابة الأعلام العربية – وبخاصة أسماء الصحف – بالحروف اللاتينية. وتورد الكثير من الأمثلة، كما يأتي:
"صحيفة النهار اللبنانية، وتكتب بالحرف اللاتيني هكذا An-Nahar وذلك لأن الاسم يكتب كتابة صوتية عربية هكذا (أنْنَهار) بحذف اللام الشمسية وتضعيف النون، والأولى ساكنة والثانية متحركة. وكذلك تفعل صحيفة الديبلوماسي الصادرة في لندن AD-DIPLOMASI ويكتب الاسم صوتياً (أدْدِبلوماسي) بحذف اللام الشمسية وتضعيف الدال، وأولاهما ساكنة والثانية متحركة. ونلاحظ أن الصحيفتين فصلتا بين الحرفين المضعفين بخط قصير (شرطة) وأن النهار كتبت الحرف (N) الأول صغيراً (SMALL) والثاني كبيراً، ربما لأنها تعتقد أنه الأصل والأول مبدل من اللام الشمسية. أما الديبلوماسي فقد كتبتهما كبيرين (CAPITAL).
وأما صحيفة السفير اللبنانية فقد كتبت اسمها هكذا ASSAFIR ويكتب صوتياً (أسْسَفير) بحذف اللام وتضعيف السين، والأولى منهما ساكنة والثانية متحركة، وحين كررت الصوت (S) لم تفصل بينهما، والشيء نفسه فعلته صحيفة السبيل الأردنية حيث كتبت اسمها ASSABEEL. ويكتب الاسم صوتياً (أسْسَبيل). وصحيفة الزمان التي تصدر في لندن تكتب اسمها AZZAMAN وصوتياً يكتب (أزْزَمان). كذلك تفعل صحيفة الطريق اليمنية ATTARIQ ويكتب صوتياً (أتتريق). ونلاحظ أن الصحف الثلاث لم تفصل بين الصوتين المضعفين، وينبغي لها أن تفعل.

أما صحيفة الشعب الجزائرية فقد فصلت بين الصوتين المضعفين لكنها أخطأت في التعبير عن همزة أل التعريف وهي همزة وصل مفتوحة فكان ينبغي نقلها بالصوت (A)، لكنها نقلتها بالصوت (E)ربما مراعاة للنطق العامي للاسم، وقد كتب على هذا النحو ECh-Chaab، ومن ثم عبرت عن صوت الشين ب (Ch)حسب لفظه ورسمه في اللغة الفرنسية، ويكتب صوتياً (أششعب).ونلاحظ أن صحيفة التحدي الصادرة في أمريكا قد

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

أسقطت اللام الشمسية لكنها لم تضعف التاء وقد كتبت الاسم هكذا Atahaddi ولم تنس تضعيف حرف الدال المشدد في الأصل، وكان ينبغي أن يكتب الاسم على هذا النحو AT-TAHADDI لأنه يكتب صوتياً (أتتحددي) بحذف اللام وتضعيف التاء والدال.

أما الصحف التي لم تراع قاعدة اللام الشمسية فغير قليلة، وأول ما يلفت النظر منها صحيفة الرياض التي يكتب اسمها على هذا النحو: ALRIYADH وكان ينبغي أن يكتب AR-RIYADH بإسقاط اللام وتضعيف الراء، ويكتب صوتياً (أرّرياض)، ومما يلفت النظر أن الاسم يكتب على سيارات الليموزين هكذا ARRIYADH. ويجدر بالصحيفة أن تفعل هذا وهي تسير بخطى حثيثة نحو التطوير.وقد سارت على النهج نفسه صحف أخرى مثل صحيفة الصقور السعودية ALSoqour والصواب AS-Soqour كما يكتب صوتياً (أصصقور).
وصحيفة السياسة الكويتية AL-seyassah فقد كتبت أل التعريف منفصلة عن الاسم ومن ثم ضعفت الصوت (S) في حين أن السين غير مشددة في الأصل العربي، وكان ينبغي أن يكتب الاسم هكذا AS-SIYASAH وهو صوتياً هكذا (أسسياسه). وكتبت كل من: صحيفة الرأي العام الكويتية AL-raialaam والصباح الفلسطينية AL-SABAH، والرأي الأردنية AL-Rai، والشورى اليمنية ALShoura، وصحيفة الشرق القطرية AL-sharq، أسماءها دون أن تسقط اللام الشمسية، ودون أن تضعف الصوت الذي بعدها: والصواب: AR-RAIALAAM و AS-SABAH و AR-RAI و ASH-SHOURA و ASH-SHARQ.

أما صحيفة الشرق الأوسط الصادرة في لندن، فقد تنبهت إلى أهمية إسقاط اللام الشمسية، لكنها لم تضعف الصوت (sh) الذي يقابل الصوت (ش) في الأصل العربي، فأصبح الاسم مثل كلمة (شرق) المسبوقة بهمزة الاستفهام عند النطق (أشرق) Asharq-ALawsat والصواب ASH-SHARQ ALAWSAT، وتكتب صوتياً (أششرق).
هذا فيما يتعلق بنقل اللام الشمسية، وهناك أخطاء تتعلق بنقل تاء التأنيث أو التاء المربوطة، حيث نجد بعض الصحف لا تضع له مقابلاًوهو الصوت (H) مكتفية بالصوت (A) الذي يعبر عن الفتحة الواقعة على الحرف الذي يسبق التاء المربوطة، وهذا يشبه صنيع بعض العرب الذين يسقطون تاء التأنيث من الأعلام المؤنثة مكتفين بالألف تمثلاًبالأعلام الأجنبية المؤنثة فيكتبون الأسماء مثل (دانة وزليخة ودالية ولينة، بالألف لتصبح دانا وزليخا وداليا ولينا، وهذا مما يخرج الاسم عن أصله العربي)، أما ما وقع من ذلك في أسماء الصحف، فمثل صحيفتي الثورة السورية، واليمنية حيث نقل الاسم هكذا (AL-THAWRA)، كذلك فعلت صحيفة الصحوة اليمنية (Alsahwa) والصواب (ATH-THAWRAH) و (AS-SAHWAH)، وذلك لئلا تلتبس تاء التأنيث بالألف المقصورة، كما في (الشورى) التي تكتب هكذا (ASH-SHOURA) وقد راعت صحيفة الجزيرة السعودية التعبير عن تاء التأنيث، فكتبت اسمها (AL-jazirah). أما صحيفة الحياة (لندن) فقد تناست أن التاء المربوطة تلفظ هاء عند الوقف لا تاء حيث نقول (الحياه) لا (الحيات) صوتاً لا خطا. وقد كتبت اسمها هكذا (ALHAYAT) والصواب

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

(ALHAYAH).ومن القواعد الصوتية التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند النقل الصوتي، قلب النون الساكنة والتنوين ميما إذا تلتهما الباء وهو ما يعرف في علم التجويد بالإقلاب ، وقد أغفلت صحيفة الأنباء المغربية ذلك حيث كتبت اسمها (ALANBAA)، ويكتب الاسم صوتياً (الأمباء) ولهذا كان ينبغي أن يكتب هكذا (ALAMBAA).“
حسناء القنيعير: ” نقل الأسماء العربية بالحروف اللاتينية“، دراسة منشورة على الشبكة: http://www.shakoomakoo.com/lettres%20arabes%20news.htm

ومما ينتظر بعد شيوع الكتابة باللاتينية أن تضمحل على ألسنة الناشئة الأصوات العربية المفخمة، الخاء والقاف والطاء والصاد. فتصير الطريق التريق، والصحوة السحوة، والقرآن الكرآن.
ومن شبه المؤكد ألا يحدث اتفاق على طريقة موحدة قياسية للكتابة بالحروف اللاتينية. وإذا حلت الحروف اللاتينية محل العربية فإننا سنحتاج إلى قواعد جديدة للإملاء اللاتيني لن تقل في تفصيلاتها عن قواعد الإملاء العربية الحاضر. ولن تزول الشكوى من صعوبة الإملاء العربي. وفي الاقتباس المطول السابق عن حسناء القنيعير دليل كاف.

و تنتبه الباحثة إلى التحالف الحاضر و المنتظر بين العامية وبين الكتابة بالحروف اللاتينية. فتورد: ” يكتب الاسم متبعاً نطقه في اللهجة العامية، ومثل ذلك اسم صحيفة أخبار اليوم المصرية، حيث نقل الاسم (اليوم) نقلاً صوتياً حسبما يلفظ في العامية المصرية فكتب على هذا النحو AKHBAR ELYOM بضم الياء وكسر همزة (أل التعريف) وكان يجب فتحها، أما صحيفة اليوم الجزائرية، فقد كتبت الاسم متبعة النهج الفصيح، بفتح الياء لكنها كسرت همزة (أل التعريف) هكذا (ELYAUM) لكن صحيفة اليوم السعودية كتبت الاسم مطابقاً لنطقه الفصيح، هكذا (ALYAUM).واتباع العامية في نقل الأصوات نجده أيضاً في صحيفة عكاظ السعودية، حيث نقل الصوت (ظاء) بالمقابل (Z) وذلك لأنه يلفظ في المنطقة زايا مفخمة (OKAZ).وهذا يناقض النظام الصوتي العربي، لأنه صوت دخيل على العربية، وان لم يتوفر زمن تأسيس الصحيفة منهجية عربية صحيحة لنقل الأصوات العربية بمقابلات مناسبة، فإن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أقرت منذ سنوات منهجية شاملة لنقل الأصوات العربية بحروف لاتينية ، الأمر الذي يلزم العرب بإعادة النظر في كل ما ينقلونه من كلامهم بتلك الحروف.“

من الواضح أن ما تقره المنظمة العربية وغيرها لا يعدو أن يكون مجرد توصيات. ولم تمنع ”المنهجية الشاملة“ المشار إليها من الوقوع في فوضى الرسم بالحرف اللاتيني. وفي ظل هامشية وضع المجمع اللغوي أو المجامع العربية، وفي ظل خفوت صوت المؤسسات العربية من الأليكسو إلى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، فإن علينا ألا ننتظر أخبارا سارة.

وإذا استجابت السلطات لرغبات المقترحين بسن القانون الملزم بجعل الحروف اللاتينية هي (الأبجدية القومية)، فإن على المحاكم أن تستعد لعدة

” إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها “

ملايين من القضايا التي تطعن في صحة الوثائق، وبخاصة شهادات الميلاد وصكوك الملكية. وسيصبح من المطلوب من كل من اسمه محمد أن يقدم الدليل القانوني على أنه هو Muhammad وليس Mohammad وليس Mohammed وليس Mohamed . هذا كله في الاسم الأول فقط . وليكن الله في عون القضاة والمحامين وموظفي الشهر العقاري ومصلحة الجوازات والغرفة التجارية. أما في حالة البحث في الإنترنت عن وثائق تحتوي على كلمة (محمد) كمثال، فإن على الباحث أن يكون عارفا بكل احتمالات رسمها الإملائي الممكنة؛ لأنه في كل مرة سيحصل على نتائج بحث مغايرة.

ويمكن تلخيص بعض الآثار التي تنشأ عن كتابة العربية بالحرف اللاتيني فيما يأتي:

1. قطع الصلة بالميراث الثقافي.
2. تعسير الكتابة على الكاتب.
3. الفوضى في التطبيق، ونشوء الحاجة مجددا إلى قواعد إملاء معقدة. بل سيصبح لكل قوم طريقتهم في التهجئة بالحرف اللاتيني.
4. زوال فنون الخط العربي وزخارفه التي تمثل الفن التجريدي للحضارة الإسلامية.
5. لن تختفي الشكوى من مصاعب الإملاء، وستبقى الحاجة إلى النقط والشكل قائمة برغم الاقتراحات الكثيرة.
6. سيتم تكريس اللهجات العامية وتأكيدها بشكل دائم، نتيجة لتدوينها. (راجع: إميل يعقوب، 1986، ص ص 81-96)

عندما يعطس المستشرقون يصاب العرب بالزكام

ذكر عثمان سعدي في 12 إبريل 2000 : " أن وزارة التربية الفرنسية قد أصدرت قرارًا في 7 يناير 2000 الماضي سيبدأ سريانه ابتداءً من امتحانات البكالوريا (الثانوية العامة) التي ستجري في يونيه 2000 القادم يقضي بأن يقوم الممتحن بكتابتها بالأحرف اللاتينية، كما يشمل هذا القرار الغريب التوقف عن تدريس العربية الفصحى باعتبارها لغة تعاهدية غير حية، والاستعاضة عنها بلهجاتها المحكية، وقد اعتمدت حتى الآن 3 لهجات هي اللهجة المغاربية واللهجة الشامية (السورية- اللبنانية) واللهجة البربرية- القبائلية، ومن دون شك فإنه سيتم مستقبلاًاعتماد لهجات أخرى كالخليجية واليمنية والمصرية." و أضاف سعدي: " أن "منظمات فرنسية قامت بالاحتجاج على القرار؛ إذ اعتبرته تحريفًا للثقافة العربية، مثلما قام فلوريل سنجوستين –رئيس الجمعية الفرنسية لأساتذة اللغة العربية- باستنكار القرار، معتبرًا أن سلوك الوزارة موقف إيديولوجي ينطلق من الاستعمار الجديد الذي يفرنس العربية؛ حيث يدعو إلى كتابتها بالفرنسية، وجاء في بيان للجمعية ذاتها أن تضليل الشبان بتوجيههم لمعرفة جزئية جدًا للعربية، وإقناعهم بأن ذلك كافٍ هو موقف غير مسئول، لأنه بدون تكوين بالعربية الفصحى فإن الذين سيتخرجون سيكونون أميين لا يستطيعون قراءة أبسط جريدة."

لقد حققت الحكومة الفرنسية بعد سبعين سنة حلم ماسينيون(الموظف بوزارة المستعمرات). ولو كانت فرنسا أقدمت على قرارها ذاك قبل ذلك، فربما – أقول ربما – احتج واحد من الملحقين الثقافيين في واحدة من

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

السفارات العربية. لا يملك المرء أن يكف ذهنه عن الربط بين قانون حظر الرموز الدينية في فرنسا، و بين قرارها السابق بشأن الحروف اللاتينية.

ترى هل تحذو دول الاتحاد الأوربي حذو فرنسا في فرض الحرف اللاتيني بالقوة لكتابة العربية؟. عندما تم توسيع الاتحاد ليضم خمسا وعشرين دولة (أول مايو 2004)، فإن كتلة عالمية هائلة قد يصبح لها القول الفصل في موضوع حروف الكتابة، ولا سيما أن هناك في المقابل العجز السياسي المتمثل في التجزئة العربية وغياب المؤسسات العربية الموحدة ذات القرار الملزم. كما أن السياسة الخارجية الأوربية يناسبها تماما – في الظرف الدولي المعاصر- أن ينقطع المهاجرون العرب عن ثقافاتهم الأصلية.

عندما قررت السلطات أن تجعل التعليم – وبخاصة الجامعي – بالإنجليزية، جرت محاولات لتبرير القرار بأن الإنجليزية هي لغة العلم العالمية. ثم قيل التبرير ذاته عندما اختارت السلطات في المغرب العربي أن تجعل الفرنسية لا الإنجليزية لغة التعليم. فسقط التبرير المعلن، ولم يبق سوى حقيقة التبعية للمستعمر (زينب حسن 1986، ص ص 205 – 207)

ومع النقاش الساخن الذي دار مؤخرا، تبين أن عمق الخلاف في الموضوع هو حضاري ثقافي. وبدأ الجميع يصرح بذلك أمام وضوح عدم نجاعة التبريرات المسماة علمية ولسانية. ينقل سعد الدين العثماني عن أحمد عصيد القول الذي يلخص الجدل : " ينبغي أولا أن نعلم أن النقاش الدائر حول الحرف هو نقاش محض أيديولوجي، وليس نقاشا تقنيا بين مختصين في علوم اللغة. إن الذي يختار الحرف اللاتيني لكتابة الأمازيغية داخل المغرب، إنما يفعل ذلك ضدا على برنامج التعريب الذي يروم السيادة المطلقة للعربية، وهو بذلك يفصل الأمازيغية عن المجال الثقافي العربي ـ الإسلامي، ويدرجها في مجال أجنبي، أما الذي يختار الحرف العربي لكتابة الأمازيغية، فهو الذي لا يخلط بين العربية وسياسة التعريب، ويعطي الأولوية للإطار الوطني الذي يجمع العربية والأمازيغية في نسيج ثقافي مشترك، ويرفض الانتقام من العربية ردا على سياسة تهميش الأمازيغية، وأما الذي يختار الحرف العريق"تيفيناغ" فهو يهدف إلى إثبات الاستقلال التام للأمازيغية كنسق لساني عن العربية وعن اللغة الأجنبية وينطلق من مبدأ "مثلما لكل لغة حرفها، فإن للأمازيغية أيضا حرفها الخاص "

و من أجل ترسيخ الأمازيغية المكتوبة بالحرف اللاتيني، سعى المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في المغرب إلى ترجمة بعض الأعمال الأدبية المكتوبة بالعربية إلى الأمازيغية. لكن المريب في الأمر أن جعلوا أولى الأعمال المختارة للترجمة رواية "الخبز الحافي" ، وهو كتاب أقل ما يقال عنه إنه لا يمثل الثقافة العربية، حتى إن محررا صحفيا تحدى مؤلفه محمد شكري – قبل وفاته – أن يقرأ فقرات منه على الملأ. وقد نقل عن شكري نفسه القول إنه يريد أن ينسى هذه الرواية.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

- **اللغات غير العربية : لغات الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي، واللغة البوسنية والماليزية.**

في ماليزيا كتبت المالوية بالحروف العربية زمنا، لكن الإنجليز حاربوا الحرف العربي، ونشروا الحرف اللاتيني في ماليزيا وإندونيسيا، كما في كثير من البلاد الإفريقية التي استولوا عليها.
وفي البلقان كانت الألبانية من أبرز اللغات التي تعتمد الحرف العربي للكتابة، إلى أن جاء سامي فراشري (1850-1904) فكان أول من دعا إلى كتابة الألبانية والتركية بحروف لاتينية. فنشر مقالا في جريدة "الصباح" عاب فيه على اللغة التركية أنها أصبحت لغة عربية فارسية تركية. وكان أول من أعلن دعوته إلى التخلي عن الحرف العربي في كتابة اللغة التركية.
وقد بادر في سنة 1878 إلى اقتراح أبجدية جديدة للغة الألبانية تقوم على الحروف اللاتينية ونشر فيها في 1879 أول كتاب لتعليم اللغة الألبانية.وبعد خمسين عاما فرض أتاتورك الحروف اللاتينية على اللغة التركية. (محمد موفاكو، 1983، ص 193)
وتلقفت مجموعة حزب الاتحاد والترقي دعوة فراشري، فكتب حسين جاهد - رئيس تحرير جريدة "طنين" الناطقة باسم الحزب- مقالا افتتاحيا يؤيد الأبجدية اللاتينية. و من الطرائف أن كلمات "حسين جاهد" التي قالها سنة 1910 قد رددها- كما هي - مشاهير من العرب كان الناس يظنونهم على علم واسع. فحسين جاهد هو قائل العبارة: "إن الألبانيين الذين يريدون تبني الأبجدية اللاتينية إنما يريدون ***التقدم خطوة إلى الأمام***". وهو نفسه الذي قال: "إن الراعي الألباني ***يمكن أن يتعلم القراءة والكتابة خلال أسبوع*** بالأبجدية اللاتينية".
وقد يعجب الناس في أيامنا هذه إذا عرفوا أن منطقة البلقان كانت تدون لغاتها بالأبجدية العربية. وربما لا يتصور القارئ غير المتخصص أن الأدب الألباني كتب بعضا من روائعه بالحروف العربية. منها ملحمة في 13 ألف بيت تحكي واقعة كربلاء، وأخرى في 56 ألف بيت مكتوبة كذلك بالحروف العربية.
ويسجل التاريخ بكل الأسى أن آخر كتاب طبع في اللغة الألبانية بالحروف العربية قد صدر سنة 1970 . وتعج منطقة البلقان بآلاف المخطوطات التي تعاني الإهمال والتجاهل والازدراء، لا لشيء إلا لأنها دونت بالأبجدية العربية.

وكان البوسنيون يكتبون ويؤلفون ويقرءون اللغة البوسنية التي تنحدر من أصل سلافي بالحروف العربية، وعُرفت باسم لغة "البوسانشيتسا"، وهذه اللغة كانت غنية بمفردات عربية الأصل، كما يظهر من المخطوطات النادرة التي تحتضنها مكتبة "غازي خسروف بيك" في سراييفو.
يقول الدكتور "جمال الدين لاتيتش" أستاذ التاريخ في جامعة سراييفو: "إن مسلمي البوسنة ظلوا يستعملون لغة البوسانشيتسا حتى مجيء الاحتلال النمساوي للبوسنة؛ حيث ألغى الاحتلال استعمال الحروف العربية، وأحل محلها الحروف اللاتينية، وأصبح البوسنيون في يوم وليلة أميين؛ لأنهم لم يكونوا على معرفة بالحروف اللاتينية". (من موقع Islamonline.com)

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

وتركيا نفسها قد أجبرت على الحرف اللاتيني إبان انكسارها، وتزامنت الدعوة للحرف اللاتيني مع انحدارها إلى دولة من الدرجة الثانية. كما صاحَبَ الكتابة بالحرف اللاتيني تنكر السلطة للمقومات الثقافية، وشيوع مظاهر التغريب.(لوثروب ستودارد،1971،ج 3،ص ص 351-354).

وكانت الجمهوريات الإسلامية التي فرض ستالين عليها الأبجدية الروسية، قد حاولت الرجوع إلى الحرف العربي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، لكن " جرت محاولات لفرض الحرف اللاتيني عليها أسوة بما وقع في تركيا، بحجة أن الأبجدية اللاتينية ضرورية للانفتاح على العالم والتقانة المتطورة. وقد تبنت فعلا كل من "كازاخستان" و"أوزبكستان" و"تركمانستان" و"قرقيزيا" و"أذربيجان" الحرف اللاتيني، بينما رجعت "طاجكستان" إلى الحرف العربي."

وهكذا فإن الجمهوريات الإسلامية في آسيا التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي قد حرمت من العودة إلى الحرف العربي، الذي كانت تكتب به لغاتها قبل الاحتلال الروسي. وتقرر في مؤتمر أنقرة سنة 1993 أن تكتب لغاتها بحروف لاتينية معدلة (34 حرفا), وبذلك تكون قد أدارت ظهرها لتراثها قبل أن تقطع روابطها المحتملة مع العرب والثقافة العربية. (راجع مقال أمير طاهري، الشرق الأوسط، عدد 5220)
ترتب على ذلك القرار أن " مئات الشعراء والفلاسفة الذين كتبوا نصوصا تركية بالحروف العربية على مدى قرون، باتوا في موقع هامشي" .
والحاصل أن "تبني الحروف اللاتينية قد جعل الكثير من الأتراك أميين داخل عالمهم الثقافي بالذات". (السابق)

ويذكر ماهر عبد الله من قناة الجزيرة: "في السودان العالم الماضي، حدثني بعض الأكاديميين المتخصصين في اللغة العربية، أنه حتى الأمم المتحدة واليونسكو في بعض الأحيان من تمحى لديهم الأمية في الجنوب إذا كتبوا وقرؤوا بالعربية يصنفونهم أميين، لا يقال إنه رفعت عنه حالة الأمية". (من موقع aljazeera.net) وبرغم مما في هذا الكلام من طرافة، فإنه لا يخلو من دلالة؛ إذ كيف يقع مثل ذلك في الوقت الذي تمثل فيه اللغة العربية واحدة من لغات العمل في الأمم المتحدة؟! فهل من المحتمل القريب أن تتراجع المنظمة الدولية عن قرار اعتماد اللغة العربية لغة عمل؟

يقدم سعد الدين العثماني لمحة تاريخية عن محاولات إلغاء الحرف العربي: " وكان الحرف العربي إلى عهد قريب هو المستعمل في إفريقيا بدون منازع، إلى أن فرض عليها أن تغير حرفها إلى الحرف اللاتيني من قبل الاستعمار الأوروبي أو بعض الأنظمة الشيوعية. ومن آخر اللغات التي فرض عليها تغيير حرفها لغة "الهاوسا" في شمال نيجيريا واللغة الصومالية واللغة التجرينية في إريتيريا.
وقد تكررت نفس القصة مع اللغات البنغالية والماليزية واليوغورية في تركستان الشرقية وغيرها.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

وفي تجربة اللغة اليوغورية نموذج جلي لهذا الصراع. لقد تم اقتطاع تركستان الشرقية من التركستان الغربية وإلحاقها بالصين الشعبية وسميت مقاطعة "شينغ جيانغ". وكانت كتابة اللغة اليوغورية تتم بالحرف العربي إلى حدود الستينيات، عندما قامت الثورة الثقافية، ففرضت كتابتها بالحرف اللاتيني من بين إجراءات تستهدف الهوية القومية والإسلامية. وكان من بينها إغلاق المساجد ومنع مظاهر التدين... وبعد موت "ماو تسي تونغ"، ثم القضاء على العصابة الرباعية التي تتزعمها زوجته وإنهاء الثورة الثقافية، سمحت السلطات بكتابة اللغة اليوغورية بالحرف العربي. لكن عاد المنع مرة أخرى في فترة التسعينات مع الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. وهو ما سجله تقرير خاص لمنظمة العفو الدولية في أبريل 1999. يقول التقرير حرفيا:

".. وأغلقت عدة مساجد ومدارس دينية منذ ذلك الوقت، كما توقف استخدام الحرف العربي في الكتابة، وفرضت قيود شديدة على رجال الدين المسلمين، وطرد أو ألقي القبض على الفقهاء المسلمين الذين اعتبرتهم الحكومة من "المشاغبين" أو ممن لا يبدون امتثالا كافيا لأوامرها. وحظر على المسلمين الذين يعملون في الدوائر الحكومية والمؤسسات الحكومية الأخرى إقامة شعائر دينهم، كما أنهم يفقدون وظائفهم إذا لم يمتثلوا للأوامر“

ويرصد الكاتب نفسه أن التحول إلى الحرف اللاتيني في تركيا صاحبه حالة عداء مع كل ما هو إسلامي.

وينقل سعد الدين العثماني عن باحثين فرنسيين : ” يعبر أحدهم وهو "دومونبين" في أطروحته ("عمل فرنسا بالمغرب في ما يخص التعليم") عنها بقوله: "من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة تتكون، ولغتها واحدة، وأنظمتها واحدة، لا بد أن نستعمل لفائدتنا العبارة القديمة "فرق تسد". إن وجود العنصر البربري هو آلة مفيدة لموازنة العنصر العربي، ويمكننا أن نستعمله ضد المخزن نفسه" . وكتب "موريس لو كلاي" أحد موظفي الإقامة العامة الفرنسية في مقال بعنوان (المدرسة الفرنسية لدى البربر): "يجب أن نحذف تعليم الديانة الإسلامية واللغة العربية في مدارس البربر، وأن تكتب اللهجات البربرية بحروف لاتينية"، وختم مقاله بقوله: "يجب أن نعلم البربر كل شيء ما عدا الإسلام" “.

ومن منشور خاص ينقل سعد الدين العثماني: ” يجب بادئ ذي بدء أن نتجنب تعليم العربية لأناس دأبوا على الاستغناء عنها، إن اللغة العربية تجر إلى الإسلام,لأن هذه اللغة تتعلم في القرآن. في حين أن مصلحتنا تحتم علينا العمل على جعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام، ومن الناحية اللغوية يجب أن نعمل على الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية.“

(راجع أيضا مقال عمر النمري : الموقع الآتي:
http://www.algeria- voice.org/Raii/Raii2/R13/hauptteil_r13.html)

أما أوضح ما قيل في الموضوع فهو ما نقلته مجلة "عالم المسلمين" في عدد أبريل 1911 ص 218 فهو: "لقد قام المنصرون الألمان في شرقي أفريقيا باستبدال الحرف العربي الذي تكتب به اللغة السواحيلية إلى الحرف اللاتيني، وذلك كوسيلة لوقف الزحف الإسلامي المستمر في هذه البلاد.

” إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها “

ويعتبر هذا التغيير ضربة قاسية للإسلام في شرقي أفريقيا". (السيد رزق الطويل، 1986، 103)

في إقليم عفر بإثيوبيا الذي يتحدث كثير من السكان العربية، ويتعلمونها في بعض المساجد والكتاتيب؛ لأن مدارس الدولة لا تعلم العربية هناك. وجميع العفر مسلمون، ولهم لهجة محكية لا يكتبونها، لأنهم يكتبون بالعربية. لكن أخيرا قامت بعض الهيئات (الخيرية) بكتابة الإنجيل باللغة العفرية بحروف لاتينية. وهذا ما يجعل المنطقة مؤهلة للتحول إلى المسيحية. (سها السمان(1/4/2004). موقع islamonline)

كتابة القرآن بالحروف اللاتينية

لم يقل أحد يعول على كلامه إن اللغة العربية مقدسة. لكن كل المسلمين مجمعون على أن القرآن كلام الله المنزل، وأن تلاوته عبادة. تلك هي المسألة. و لم تصح الأحاديث أن العربية هي لسان أهل الجنة. وما يقال على أنه حديث : "أحب العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي"، ذكر يوسف القرضاوي أن العلماء ضعفوا هذا الحديث جداً حتى قال بعضهم إنه موضوع. أبو حاتم قال: هذا كذب، والإمام ابن الجوزي ذكره في الموضوعات، والشيخ الألباني قال هذا حديث موضوع، وبعضهم قال هو ضعيف، وإن كان ضعفه شديدا فلا يحتج به.

أما ما يثير العجب فهو أن مجمع اللغة العربية بدلا من أن يبحث في كتابة اللغات الأخرى بالحروف العربية، شغل وقته الثمين بمناقشة كتابة العربية نفسها بالحروف اللاتينية.!

وكما اضطر المجمعيون إلى مناقشة المسألة، جوبه الفقهاء أيضا بالسؤال، فقال الشيخ عطية صقر: " أثير هذا الموضوع عندما أثير موضوع ترجمة القرآن الكريم ، وحاول بعض المجددين أن يجيز كتابة القرآن بحروف غير الحروف العربية ، ولكن عارضه أهل الذكر من علماء الدين ، وصدرت بذلك فتوى رسمية من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، ونشرت بمجلة الأزهر "المجلد السابع ص 45 " بتوقيع الشيخ حسين والي رئيس اللجنة وهذا نصها : لا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدي جميع ما تؤديه الحروف العربية ، فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربي – كما يفهم من الاستفتاء – لوقع الإخلال والتحريف في لفظه ، وتبعهما تغير المعنى وفساده . وقد قضت نصوص الشريعة بأن يصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف ، وأجمع علماء الإسلام سلفاً وخلفاً على أن كل تصرف في القرآن الكريم يؤدي إلى تحريف في لفظه أو تغيير في معناه ممنوع منعاً باتاً ، ومحرم تحريماً قاطعاً. وقد التزم الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا ، كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية ومن هذا يتبين أن كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة لا تجوز. انتهى .

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

هذا ويقاس على تحريم كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية التي صدرت بها الفتوى تحريم كتابته بأية حروف أخرى غير عربية ، للاتحاد في العلة كما هو الشرط في القياس .“ انتهى كلام الشيخ صقر. (من موقع islamonline)

ترى ماذا نصنع إذا خرج عالم آخر بفتوى مخالفة؟ وماذا نصنع إذا لم يجد الناس أنفسهم ملزمين بأية فتوى من أية جهة؟ وهل تشغل الشركات الكبرى نفسها بالفتاوى ؟! وبم سيفتي العلماء بعد عشر سنوات أو عشرين سنة من الآن؟ وإذا كانت لدى كل بلد دار للإفتاء، فمن يضمن الاتفاق على شيء؟ وإذا كان الرسم القرآني قد تمت المحافظة عليه حتى اليوم، فمن سيتولى معايرة الرسم بالحرف اللاتيني إذا حدث؟
ترى هل تسهم الفتوى في الحفاظ على القرآن، أم سوف تحرم من يجهل الرسم العربي من قراءة المصحف؟

- **الأمازيغية، والكردية في الوقت الحاضر**

الأمازيغ والحرف اللاتيني
أصر ذوي الصوت المسموع من الأمازيغ على اعتبار الأمازيغية لغة قائمة بذاتها، وعلى تدوين الأمازيغية بالحرف اللاتيني، وعلى اعتبار الأمازيغية هوية متمايزة عن الهوية العربية والإسلامية معا. ونتيجة لمراحل طويلة من المواجهات مع السلطة ”أدرجت التامزيغت في الدستور الجزائري عام 2002 بصفتها لغة وطنية“ . كما قررت الحكومة المغربية تدريس اللغة الأمازيغية في المدارس العمومية بداية من العام الدراسي 2003/2004

وكان المستشرقون الفرنسيون الذين اهتموا بالأمازيغية قد اعتمدوا " الكتابة بالأحرف اللاتينية سعيا إلى انتشار أفضل لأعمالهم، في حين اهتم اليسوعيون والآباء البيض بمنطقة القبائل وعكفوا على دراسة اللغة القبائلية (وهي فرع من التامزيغت) وأسهموا في إرسائها بالحروف اللاتينية حتى باتت منتشرة دوليا واعتمدتها كل جامعات أوروبا“ من موقع www.aljazeera.net

الموقف الأمازيغي المؤيد للحرف اللاتيني
برغم أن هناك من يرى أن ”هذه الحروف اللاتينية إرث إنساني عالمي لا يرتبط باستعمار ولا بدولة معينة.“ إلا أن النقاش حول تدوين الأمازيغية لم يخل من مسحة العنف، وإن كان النقاش أحيانا يبدو في ثياب علمية. فقيل مثلا إن ” كتابة الأمازيغية التي تشترط مواصفات معينة في حروف كتابتها، هذه المواصفات لا يستجيب لها الحرف العربي ولا يستجيب لها حرف تيفيناغ للأسف الشديد “
ويورد لحبيب فؤاد الملاحظات التي تعبر عن موقفه:

1. إن أكثر من 90% من الموروث الأدبي المكتوب بالأمازيغية مدون بالحروف اللاتينية.
2. إن جميع الدراسات الألسنية والأطروحات الجامعية في المغرب وخارجه، والتي تناولت موضوع الأمازيغية اعتمدت ومازالت الحرف اللاتيني.

” إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها “

3. إن أغلبية الكتاب والشعراء باللغة الأمازيغية اعتمدوا كتابة لغتهم بالحروف اللاتينية.
4. إن جميع الجمعيات الأمازيغية، والشبكات والتنسيقات الجهوية المهتمة بالثقافة الأمازيغية اعتمدت الحرف اللاتيني، وأصدرت بيانات وتوصيات وعرائض وغيرها توصي بكتابة لغتهم وتدريسها بالحرف اللاتيني. وقد عبر بيان مكناس في أكتوبر 2002 عن ذلك.
5. إن اللجنة التي كلفتها وزارة التربية الوطنية، المكونة من لسانيين ومختصين في علوم التربية قد درست موضوع كتابة الأمازيغية يوم 5 يونيو 2002 وأصدرت تقريرا نشر في الصحف، أكدت فيه بالإجماع عن ضرورة تدريس الأمازيغية بالحرف اللاتيني.
6. إن الأمازيغية تدرس في جميع أنحاء العالم بالأبجدية اللاتينية، بما فيها النيجر ومالي.. التي احتفظت منذ القدم بحروف تيفيناغ.

إن الكتاب وعلماء اللسانيات والمختصين في علوم التربية والجمعيات الأمازيغية قد حسموا في نمط كتابة لغتهم؛ لأن الأمر يهمهم بالأساس ويهم مستقبل الثقافة واللغة الامازيغيتين. (لحبيب فؤاد (http://www.tawiza.net/Tawiza70/Lahbib.htm

وقد خرج الجدل العلمي -إذا جاز التعبير- إلى العصاب، لدرجة أن واحدة من الجماعات النشطة من الأمازيغ نشرت بيانا، تحت عنوان: "بيان للرأي العام الوطني لمجموعة من المثقفين والمبدعين بالأمازيغية ضد الهجمة الوهابية العروبية على الحركة الأمازيغية في موضوع نمط كتابة اللغة الأمازيغية" البيان موقع بتاريخ الرباط في 26 دجنبر 2002 ولا يُعلم أي شهر يكون (دجنبر)؟ http://www.tawiza.net/Tawiza70/Wahab.htm
من الواضح من لهجة البيان أن هناك ادعاء بوجود حملة اضطهاد منظمة منسقة ضد الأمازيغ. ومن ثم يتحدث البيان عن: " بلورة وعي سياسي أمازيغي بضرورة الانعتاق من كل هيمنة أيديولوجية وكل سياسة استبدادية وتحقيق الحق الشرعي في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ".
وقد تلخص الانعتاق - في رؤية البيان - في الانعتاق من الحروف العربية، كما عبر: " فالحركة الثقافية الأمازيغية غير معنية اليوم بهذا الجدال العقيم ولن تكون معنية غدا بأي التزام بكتابة اللغة الأمازيغية بغير خطيها الأساسين: نمط الكتابة بحروف "تيفيناغ" كأفق مستقبلي ونمط الكتابة بالحرف الكوني – يقصد اللاتيني - كضرورة مرحلية حاسمة. " (وقع على البيان 34 شخصا ، من بينهم محمد بودهان و لحبيب فؤاد).

أما الاعتبارات المحددة لعملية الاختيار بين الأحرف، فقد بسطها إبراهيم أوبلا (رئيس لفرع جمعية البحث والتبادل الثقافي بطاطا) في حوار له مع مجلة الفرقان، حيث ذكر أن هناك اعتبارات كبرى:
اعتبار نفسي وجداني ينبع من كون الأمازيغي غير مرتاح لاستعمال رموز غيره في الكتابة وبالتالي فلا بديل عن "تيفناغ" رموزالأسلاف.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

اعتبار واقعي ينطلق من أن هناك حروفا يفرضها الواقع المعيش بالمغرب وهي الأبجدية العربية أو الحرف النبطي.
اعتبار بيداغوجي يدعو إلى اختيار الحرف الأنسب في العملية التعليمية، أي الحرف الذي لن يشكل أية عقبة أمام المتعلمين الصغار.
اعتبار جمالي ينبثق من سؤال: أية بجدية ترتاح لها الأذواق أثناء الكتابة؟

والاعتبارات المذكورة آنفا، تثار إلى جانبها الاعتراضات اللسانية المرتبطة بغياب الأحرف الخاصة ببعض الأصوات الأمازيغية، في الحرف اللاتيني.{ من مقال مصطفى الخلفي ينقل فيه عن:(أوبلا، إبراهيم حوار حول "المسألة الأمازيغية" مجلة الفرقان عدد 38، 1997 ص 87ـ 91.)}

في مؤتمر بأغادير سنة 1996 حول موضوع "تدريس اللغة الأمازيغية: التجارب ـ المشاكل ـ الآفاق" قدمت ورقة بعنوان"التعليم وإشكالية اعتماد الحرف" ، وجهت أربع انتقادات كبرى للحرف العربي:
ـ صعوبات القراءة والفهم فيما هو مكتوب بالحرف العربي.
ـ أن محاولات إصلاح الحرف العربي لكتابة اللغة العربية نفسها ما تزال مستمرة.
ـ أن الخط العربي تلازمه مشاكل الطباعة.
ـ استحالة ملاءمته للنظام الفونولوجي للغة الأمازيغية.

"وفي المقابل ركزت الورقة جهدها على حشد أكبر قدر ممكن من الأدلة للإقناع بصوابية اختيار الحرف اللاتيني، حيث اعتبرت أن الاختيار يجب أن يرسو على الخط الذي سيساعدنا على "التطور والتنمية علميا وتكنولوجيا واقتصاديا"، وهو ما يجسده الخط اللاتيني باعتبار مرونته وعالميته وتجذره في النظام المعلوماتي وطغيانه على لغة الحاسوب ولهذا دعت إلى "استعمال الخط اللاتيني لكتابة الأمازيغية في التعليم العصري "

وصدر بيان مكناس حول حرف كتابة وتدريس اللغة الأمازيغية يوم 5 أكتوبر 2002، والذي دعا إلى وصف فيه الحرف اللاتيني بالحرف العالمي، ودعا إلى "إدراجه في التعليم العمومي وتقعيده ومعايرته كحرف رسمي للتدريس والكتابة"

الرأي الأمازيغي المعارض للخط اللاتيني
الملاحظ أن بيان مكناس لم يقدم حيثيات علمية واضحة ومقنعة لتبرير اختيار الحرف اللاتيني، سواء في أثناء وصفه "بالعالمية" وهو ما يكذبه واقع عدد الناطقين باللغات المكتوبة به، أو عند القول بكونه "يتوفر على خصائص الكتابة العصرية المتلائمة مع التطور التقني والمعلوماتي"، وهو ما يمثل التفافا على جوهر المشكل الأصلي في الحرف اللاتيني، وهو عجزه عن استيعاب كافة الأصوات الأمازيغية كأحرف الحلق والإطباق والحروف الأسنانية وهو ما فصله محمد المدلاوي في كتابه المعنون بـ" مبادئ الإملائية الأمازيغية بالخط العربي أو اللاتيني". أو في دراسته المعنونة بـ" نحو تدوين الآداب الشفهية المغربية في إطار تطوير الحرف العربي الموسع" ، والتي

” إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها “

تقدم بها في ندوة أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط 21 ـ 22 دجنبر 2001 حول "الأمثال العامية بالمغرب"
ولعجز الحرف اللاتيني عن تصوير الأصوات الأمازيغية فقد تم إدخال سلسلة من التغييرات والتعديلات على أشكال الحروف اللاتينية للدلالة على بعض الأصوات الأمازيغية كالشين، والجيم والحاء والعين والضاد والصاد والفاء والظاء، وكيفية تمييز المفخم من غير المفخم منها، مما يجعل من الوهم القول بأن اعتماد الحرف اللاتيني ينسجم مع لغة الحاسب وأنه سيسهل التواصل، لاسيما في ظل التعدد والاختلاف الحاصل في اعتماد هذا الحرف بحسب إملائيات الدول الأوروبية المختلفة (الألمانية، الفرنسية، الهولندية...) مما يزيد من تشتيت اللغة الأمازيغية ويهدد بإعاقة جهود توحيدها بل يعمق من تشتيتها، مع الإشارة إلى أن وحدة الحرف ليست هي الكفيلة بتحقيق مسألة التبادل والتفاهم مع بقية أوجه الأمازيغية (طوارقية، قبائلية... الخ). فوحدة الحرف بين اللهجات الجرمانية كالهولندية والألمانية مثلا، أو بين الفرنسية والكاطلانية لم ترفع في حد ذاتها، أوجه الاختلافات القائمة بينها.

ويستخدم النشطاء الأمازيغ خطابا عدائيا و تعبيرات دالة من قبيل: ”التطرف العروبي “، و”الإمبريالية العربية“ و ” العداء للأمازيغية“، ” معهد ذبح اللغة الأمازيغية الذي يسمونه "معهد التعريب “ و ” أنياب التعريب “ و ” معاداة الأمازيغية“ محاكاة للعبارة الشهيرة.
وقد خرج أحدهم ليقول متشبها بكلام الباحثين : ”... هذا العداء للبنيان عند العرب مطبوع فيهم إذ هم أعرق في البدو وأبعد عن الصنائع؛ فقد كان سكنهم في خيام متنقلة. وبما أن الطبع يغلب التطبع، فإن نسف البنايات في العالم وأكثرها سموا في أمريكا، وكذا التماثيل السامقة الشاهدة على عبقرية الإنسان بأفغانستان يعتبر استمرارا طبيعيا، وإخلاصا لعادات وتقاليد الآباء. وهذا يقع لأن الدول "العربية" تتصدر لائحة الدول المتخلفة في العالم، فماذا سيحدث لو حكموا العالم وغلبوا سائر الأمم؟! “ . (من مقالة موقعة فقط باسم ” أعطّا “ من موقع
http://www.tawiza.net/Tawiza70/Uoettva.htm
لقد رافق العداء لكل ما هو عربي محاولات للنبش في الوثائق التاريخية، بحثا عن أية إشارات يمكن تأويلها بأن الاضطهاد متجذر تاريخيا بين العرب والأمازيغ. جاء في مقال لأحدهم:
” فالعرب يحسون أن الدين لهم والحكم يجب أن يكون لهم أيضا. لهذا اشترطوا النسب القريشي للخلافة، حيث بقي الجمهور على القول باشتراطها، وصحة الإمامة للقريشي ولو كان عاجزا عن القيام بأمور المسلمين “. ثم يقفز إلى القول: ” فانظر إلى المشرق، وفي القرن العشرين، كيف استجاب العرب أولي الأمر بشكل فعّال وآلي للسياسة العربية البريطانية الفرنسية حيث لعبوا دور اللغم في نسف الإمبراطورية العثمانية التركية من الداخل، كما فعل أسلافهم في المغرب والأندلس مع الإمبراطورية المرابطية والموحدية الأمازيعية. فكانوا بيادق تحركها يد الاستعمار فوق رقعة الإسلام لأنهم اقتنعوا منذ زمن أن الدولة لا ينبغي أن تنبني على أسس دينية، ولكن على أسس عرقية. فأصبح شرط القرشية المتفق عليه بعد وفاة الرسول ساري المفعول رغم مرور 14 قرنا، وتغير

” إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها “

العالم. ورغم عجز العرب عن قيادة أمور المسلمين، إلا أنهم آمنوا بأن الخلافة الإسلامية حق ينبغي أن ينفرد به العرب عن سواهم " . ثم يقارن بين العرب والمغاربة بما يزري بالعرب، فيقول مثلا: " ألم يكن يوسف بن تاشفين، مثلا، يطرد المادحين المتكسبين بكذب الكلام الموزون المقفى، ولا يسمح لهم بمدحه؟؟! فأين سمعت أو رأيت، أيها القارئ، شخصية عربية رفضت المدح شعرا عبر التاريخ؟" . ثم يضيف الكاتب أن مؤامرة عربية مدبرة هي التي نجحت في " تسمية شمال إفريقيا بـ"المغرب العربي" وعمدوا بكل السبل إلى "إثبات" عروبة هذه الأرض".
يتندر صاحب المقال بفكرة الأمة العربية، بل يسخر من الدعوة إلى وحدة المغرب العربي، ويصفها بأنها " واحدة من المستحيلات كذلك " . ثم يصرح بغاية ما يفكر فيه: " لقد فشل مشروع القومية والوحدة والأمة العربية لأنه ابن لقيط لحُبٍّ كاذبٍ بين القوى الإمبريالية وبعض وكلائهم في الشرق. فكان فشله في المغرب مضاعفا ".

والخلاصة أن الدعوة إلى نبذ الحروف العربية في تدوين اللغة الأمازيغية قد صاحبها حملة كراهية للعرب وثقافتهم وتاريخهم، ونفور من فكرة الوحدة. فلا غرابة أن يلقى هؤلاء دعم الغرب ومباركته. وتلك هي صنو الحملة نفسها التي صاحبت تبديل الأبجدية بقرار من أتاتورك.

الرأي المتمسك بالخط العربي لكتابة الأمازيغية

تكاثفت دعوات شاردة مطالبة بكتابة الأمازيغية وتدريسها بالحرف اللاتيني (بيان مكناس 5 أكتوبر 2002 نموذجا)، واصفة إياه بالخط "الكوني والعالمي" . لكن لم يكن هذا هو الصوت الوحيد؛ فقد كتب أحمد البايبي عن بعض خصائص الخط العربي وأفضلية تدوين الأمازيغية به، ومنها:

1. الكمال والاتساق والبساطة من خصائص الخط العربي
2. اللسانيون الغربيون يشيدون بالخط العربي. ينقل عن فيرث Firth قوله: " أبجديتنا وإملاؤنا الإنجليزيان مخزيان وناقصان، تقريبا، بشكل سخيف " ، إذا ما قيسا بالحرف العربي.

وعن مواطن القصور ينقل قول أحدهم: "كلنا يعرف أن الأوضاع والأشكال الهندسية لهذه الأبجدية (اللاتينية) غير متناسقة. فبعضها أطول أو أقصر من بعض، وبعضها يكتب عموديا والبعض الآخر أفقيا. وبعضها يكتب فوق السطر والآخر تحت السطر، إلخ. أما كون العربية تكتب باستعمال الحروف الساكنة فقط، فيعد المشكل الأساسي للأبجدية "العربية" والعائق الأول أمام تقدم عقلية الشعوب التي تبنت الحرف العربي لكتابة لغاتها". (بن ميس، عبد السلام (2002)، "بأية أبجدية ينبغي أن نكتب اللغة الأمازيغية؟" مجلة نوافذ، ع 71، غشت 2002، ص 149). {ترى أي الشهور يكون غشت؟}

في مجلة الفرقان، عدد 38 سنة 1997 ص 67 سئل الأستاذ محمد شفيق عن الحرف الذي ينبغي أن تكتب به الأمازيغية أجاب: "لحد الآن أنا أكتبها بالعربية، والمشكل المطروح هو أن الطرف الآخر متعصب، وكلما تمسك بتعصبه زاد تعصب الآخر. في البداية كان الجميع مستعدا لكتابة الأمازيغية

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

بالحروف العربية، لكن عدم اعتبار الآخر الأمازيغية لغةً، أجبر الأمازيغ على اختيار الحروف اللاتينية، أحب من أحب وكره من كره؛ لأن المشكل في تعصب الآخر. وأضاف: "مبدئيا يجب استعمال الحرف العربي لأننا على علاقة باللغة العربية، لأننا ديننا هو الدين الإسلامي، ولكن كل ما في الأمر هو تعصب الآخر ضد الأمازيغية الشيء الذي يزيد من تعصب الآخرين. هذا من جهة، أما من جهة أخرى فالحرف العربي مطروحة له عدة مشاكل، وهذا يؤكده المختصون في هذا المجال، بل هناك جدال حول الحرف العربي بين العرب أنفسهم".

ونقل عن الحبيب الفرقاني (مجلة الفرقان عدد 38 سنة 1997، ص 1991) رد صديقه الأمازيغي المتحمس والمتشدد في الدفاع عن الأمازيغية ومناوأة العرب والعربية، والذي قدم له نسخة من صحيفة "تامونت" المكتوب نصفها بالفرنسية فسأله الفرقاني مستنكرا:
"هذا الذي كتبتموه بالفرنسية لمن؟ هل للأمازيغيين أم للفرنسيين؟ .
الأمازيغ لا يقرؤون الفرنسية خاصة في عموم المناطق الجنوبية، فلم لا تكتفون وتكتبون الصحيفة كلها بالعربية وكفى، إذا كان القصد هو التبليغ والإفادة؟. فرد في صرامة يقول: خصمنا هو العربية وليست الفرنسية"!!!

ومن العجائب أن الأمازيغ اليوم لا يقطعون وشائج الثقافة مع العرب فحسب بل يهدفون إلى القطيعة مع ميراثهم الثقافي الأمازيغي المدون بالحرف العربي. ثم هم أيضا يقطعون أوصال تاريخهم الماثل في عبد الحميد بن باديس الذي هو أمازيغي صنهاجي وهو رائد النهضة الجزائرية ورئيس جمعية العلماء فيها ، وهو صاحب المقولة الشهيرة : "الجزائر وطننا والإسلام ديننا والعربية لغتنا". كما يقطعون صلتهم بنهج المناضل المغربي عبد الكريم الخطابي زعيم قبيلة بني ورياغل، أكبر قبائل (البربر) الأمازيغ في منطقة الريف.

الدعم الرسمي للأمازيغية

كانت الحكومة المغربية قد قررت تدريس اللغة الأمازيغية في المدارس العمومية بداية من العام الدراسي 2003/2004 وقد حشدت جهودا جادة من أجل إنجاح التجربة؛ فهناك على ما يبدو تخوف من الفشل. واختارت الوزارة البدء في تنفيذ مشروعها في حوالي ٣١٧ مدرسة، وسيعهد تدريسها لحوالي ١٠٩٠ أستاذا و بمتابعة ٧٥ مفتشا، و تمت الاستعانة بأربعين أستاذا باحثا في اللسانيات الأمازيغية والتاريخ والحضارة والثقافة من المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ومن مختلف الجامعات المغربية.
قيل في مبررات القرار إنه جاء " تنفيذا لرغبة الملك الراحل الحسن الثاني في خطاب العرش لسنة ١٩٩٤. ولإرادة الملك محمد السادس، لرد الاعتبار لمكون من مكونات الهوية الوطنية للشعب المغربي".

و نتيجة للجدل الذي صاحب مسألة اختيار حرف كتابة الأمازيغية، كلفت الحكومة المغربية لجنة مكونة من خبراء وعلماء ولسانيين ومتخصصين في

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

علوم التربية بتقديم اقتراح لها، فأوصت اللجنة "بتبني الحرف اللاتيني دون غيره لكتابة الأمازيغية". لكن الأمر لم يحسم؛ إذ لم يكن الاختيار منحصرا في الأبجدية العربية واللاتينية فقط، بل هناك الخيار الثالث الذي يراه أعضاء الإدارة في المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مناسبا، وهو ما يقال له خط " تيفناغ " . وتتخوف الدوائر الأمازيغية من أن يكون اعتماد خط تيفناغ " بمثابة فخ سيعمل على تأخير ـ وربما إفشال ـ مشروع تقدم اللغة الامازيغية "

وبرغم كون حرف تيفناغ غير ملائم تربويا فإن الحركات الأمازيغية تراه "رمزا للهوية الامازيغية" وأن دفاعهم عنه هو دفاع عن هذه الهوية. وامتدت نشاطات الجمعيات الأمازيغية لتشمل مجالات الترجمة و الصحافة والسينما والإذاعة والتلفزة في المغرب.(من موقع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية (http://membres.lycos.fr/tawiza/TAWIZA55/Bmce.htm

من الواضح أن خيار الحرف اللاتيني يكرس القطيعة داخل الدولة المغربية. من جهة أخرى فإن الأمازيغية ليست لغة واحدة، بل إن في المغرب وحده ثلاث لهجات أمازيغية، وهناك تخوف من أن تعامل هذه ا للهجات معاملة اللغات المستقلة، أو التخوف من أن تصير كذلك بمرور الوقت. فإذا أضيف إلى عوامل التشتيت و القطيعة والتفتيت عاملا آخر هو تعدد الأبجديات التي تكتب بها الأمازيغية، فإننا نكون على أعتاب لوحة سريالية غير مسبوقة.

وخلص الجدل بين الجمعيات الأمازيغية في كل من ليبيا والجزائر و مالي و النيجر إلى اعتماد الخط اللاتيني، متابعةً لمراكز البحوث في أوربا و كندا وأمريكا. ولم تصدر بعد سنة 1997 مطبوعة أمازيغية بالحرف العربي. حتى إن المطبوعات السابقة يعاد طبعها بالحرف اللاتيني. "وحاليا لا يمكن العثور على أية جريدة أمازيغية بالحرف العربي لدى باعة الصحف بالمغرب والجزائر " . ولا يوجد من بين المواقع الأمازيغية على الشبكة ما يستعمل الحرف العربي سوى موقع وحيد هو : tawalt.com

إن الحجة التي قوبلت بالهجوم في معرض الكلام عن اللغة العربية، هي هي الحجة التي تقال اليوم دفاعا عن الخط اللاتيني. يذكر محمد بودهان: " فإذا انطلقنا اليوم في كتابة الأمازيغية وتدريسها بالحرف العربي، فهذا يعني أننا سنعود إلى نقطة الصفر لأننا سنلغي كل ذلك الرأسمال الثمين الذي راكمته الأمازيغية من خلال كل البحوث والدراسات والمعاجم والمنشورات التي هي متوفرة بالحرف اللاتيني. "
ويضيف قوله: " لماذا كتابة الأمازيغية بالحرف العربي؟ فالعرب، أصحاب هذا الحرف، سوف لا يقرأون الأمازيغية المكتوبة بحرفهم ولن يتعلموها ولم يسبق لهم أن أبدوا أي اهتمام بها. فلا يوجد في كل العالم العربي مركز واحد للبحث في اللغة والثقافة الأمازيغيتين أو لتعليم الأمازيغية وتدريسها، في حين أننا نجد كثيرا من الجامعات، بدول الحرف اللاتيني، بأوروبا وأميريكا وكندا، تهتم بالأمازيغية وتتوفر على أقسام خاصة باللغة الأمازيغية أنجزت مئات البحوث والدراسات حول اللغة والثقافة الأمازيغيتين." المصدر:
. www.tawalt.com 24/9/2001

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

اكتنف النقاش حول حروف الكتابة أجواء غير علمية تبودلت فيها الاتهامات بين فريق يتهم الآخر بالتبعية لفرنسا والغرب، وفريق يتهم الثاني بالأصولية الطالبانية. مما يصبغ السجال بصبغة سوقية. يذكر أن نشطاء الأمازيغ يؤكدون على الانفصال – أو عدم التلازم – من وجهة نظرهم بين العروبة والإسلام. ويلخص محمد بودهان توجهه بقوله: " إن الفكر الشرقاني، بشقيه العروبي القوماني والإسلاموي، قد استنفد كل طاقاته وإمكانات توظيفه. فلم يبق أمامه أن يحقق أسوأ مما أنجزه خلال نصف قرن من الاستقلال. وهذا أحد أسباب ظهور الحركة الأمازيغية كبديل وتجاوز جدلي للنزعة العروبية والإسلاموية التي هيمنت على المغرب والجزائر منذ استقلالهما. إذا كان هذا شيئا معروفا، فإن الجديد هو بدء الحركة الأمازيغية في التحول إلى حركة اجتماعية حقيقية تؤسس لمرحلة جديدة من تاريخ المغرب والجزائر، تقطع مع مرحلة التلازم بين "العروبة والإسلام". لقد انطلقت هذه الحركة من الجزائر بمناسبة ذكرى الربيع الأمازيغي، ولا تزال متواصلة وزاحفة ومتنامية. وليس صدفة أن يقرر الحكم بالمغرب إنشاء معهد ملكي للأمازيغية، ولا أن يعلن الرئيس بوتفليقة، يوم 3 أكتوبر(2001)، أن الأمازيغية ستكون لغة وطنية ورسمية في التعديل الدستوري المقبل. "

وعلى غرار عبارة مراد هوفمان "الإسلام هو البديل" يذكر بودهان: " إذا كان القرن العشرون (خصوصا نصفه الثاني) هو عصر التيارات الشرقانية بالمغرب والجزائر، فإن القرن الواحد والعشرين سيكون بلا شك قرن الثورة الأمازيغية، قرن البديل الأمازيغي الذي يعني العودة إلى الأمازيغية، وبالأمازيغية. ".

أدلجة قضية الأبجدية

رأينا فيما تقدم كيف تحولت المسألة من نقاش حول حروف الكتابة، إلى مصارعة أيديولوجية. وقد سبق أن عرض فهمي هويدي الأمور على النحو الآتي:

رعت المخابرات الفرنسية خطوتين مهمتين, الأولي إنشاء الأكاديمية البربرية في باريس عام67 (والعرب مشغولون بهزيمة يونيو) التي قامت بكتابة اللهجة البربرية القبائلية بالحرف اللاتيني, ولإكمال القطيعة مع العربية فإنها قامت بعملية (تطهير) لها من الكلمات العربية, التي استبدلتها بكلمات مصنوعة.

الخطوة الثانية تمثلت في الرعاية الفرنسية لمنظمة عالمية جري إنشاؤها في عام98, لتمثيل البربر في العالم, الذين يتركزون أساسا في المغرب العربي وغرب أفريقيا, وهو ما حول فرنسا عمليا إلي دولة حاضنة للبربر, ومتبنية لمطلبهم في أن تصبح لغتهم التي أصبحت تكتب بالحرف اللاتيني, لغة رسمية ثانية إلي جانب العربية في الجزائر.

وهو أمر لا يخلو من مفارقة, لأن فرنسا وهي تؤيد وتشجع ذلك المطلب للأمازيغ, فإنها ترفض الاعتراف بأي لغة محلية داخل حدودها. وآخر رفض

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

في هذا القبيل تم في عام99. حين أرسل رئيس الحكومة جوسبان رسالة إلي الرئيس شيراك طلب فيها تعديل الدستور الفرنسي والاعتراف باللغات المحلية في الجمهورية الفرنسية. وقد رفض شيراك الاقتراح. الذي تكرر رفضه بالإجماع في اجتماع لمجلس الوزراء, وعقب الاجتماع صرح وزير الداخلية الفرنسي قائلا: إن الاعتراف باللغات المحلية يعني بلقنة فرنسا. وهذا أمر لا يمكن قبوله. وهو ما يعني أن فرنسا تعتبر وحدة اللغة الوطنية حلالا لها وحدها, ولكنها حرام علي الجزائر والجزائريين.

وبعد كتابة الامازيغية بالحروف اللاتينية، فإذا ما تحقق مطلب تحويلها إلي لغة رسمية للبلاد, فإن أجيال البربر اللاحقة لن يكون بمقدورها أن تتخاطب مع بقية السكان العرب, إلا من خلال اللغة الفرنسية. هويدي أهرام : 3/7/2001

وللكاتب نفسه **17/05/2001** "الأمازيغية ليست لغة بالمعنى الشائع، ولكنها لهجات ثلاث، منطوقة وليست مكتوبة، وحين رعى الفرنسيون بعضاً من مثقفي البربر، وأقاموا لهم ((أكاديمية)) في فرنسا، فإنهم لم يجدوا سبيلاً لكتابتها إلا بالحروف اللاتينية، وبدت كتابة الأمازيغية على هذا النحو حيلة للتفلت من العربية التي هي لغة القرآن ومن ثم لغة البربر الذين عرب الإسلام ألسنتهم، ثم أنها بدت أيضاً بابا لوصول الأمازيغية بالفرنسية، باعتبار أن البربر حين يهجرون العربية إلى لغتهم المكتوبة باللاتينية، فإنهم عملياً سوف ينقطعون تماماً عن الثقافة العربية، وسيصبح الطريق ممهداً أمامهم للالتحاق باللغة الفرنسية كمرجعية ثقافية، بل سيبقى هذا خياراً وحيداً متاحاً لهم".

وتصديقا لتحليلات هويدي وجدنا عبد الرحيم السعيدي يتنابز بالقول، وبدلا من أن يصف العربية بوصفها المتفق عليه، يتحدث عن التعريب في المغرب بأنه " قراءة وكتابة لغة قريش". وينعت القائمين على التعريب "بالمزورين ولصوص التاريخ "

ولا يخفي محمد بودهان اغتباطه : " لأن الأمازيغية، باعتمادها غير الحرف العربي، ستصبح لغة وثقافة ذات سيادة كاملة، مستقلة ومتحررة من الهيمنة العروبية ". ويضيف البشرى بقوله: "أن الهدف الحقيقي للإسلامويين وراء التعبئة ضد "الحرف اللاتيني" هو الحيلولة دون استفادة الأمازيغية من الوسائل الحديثة التي تمكنها من تجاوز العربية المتخلفة، والتفوق عليها في أقل من جيل لأنها لغة غير "مقدسة"، عكس العربية التي تمنعها "قدسيتها" من أي تطور وتقدم ".
والقضية كلها في نظره منحصرة في تدوين الأمازيغية بالحرف اللاتيني، وكأنه الحل العبقري لكل المشكلات دفعة واحدة: " معركة الحرف، بالنسبة للحزب الإسلاموي، هي إذن معركة من أجل الحفاظ على الامتيازات والمصالح الرمزية والمادية والانتخابوية المشروطة بإبقاء الأمازيغية تابعة للنفوذ العروبي الإسلاموي الوهابي من خلال فرض الحرف العربي في كتابتها وتدريسها. " . ترى من يدفع للمزمرين؟

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

يتكلم بودهان كما لو أنه جاء من وراء المجموعة الشمسية، ويقول إن معارضي الحرف اللاتيني إنما يعارضونه لأنه يضع حدا " لاستغلاله السياسوي للدين بالمخادعة والنصب وبيع تذاكر الدخول إلى الجنة "!!. ما أشبه هذا بكلام الذين ولدوا وعاشوا في أحراش أستراليا عندما يتكلمون عن الأحوال الاجتماعية في صعيد مصر مثلا.

وينطق بودهان بلغة خطابية عنترية ثورية: " ما لم يدركه ولم يفهمه الحزب الإسلاموي هو أن الإيديولوجيات القومانية والبعثية والاشتراكية، إذا كانت قد انهزمت أمامه بسهولة وتركت له الحلبة لوحده يمارس فيها فاشستيته وظلاميته وشموليته وفتاويه كما يريد، فذلك لأن تلك الإيديولوجيات المنهزمة هي كلها إيديولوجيات مشرقية مستوردة ودخيلة، تماما كإيديولوجية الحزب الإسلاموي المنقولة من السعودية أو أفغانستان. أما الأمازيغية فهي بنت هذه الأرض وهذا الوطن، وليست إيديولوجيا وافدة ولا قادمة من بعيد. ولهذا فهي تستعصي عن كل احتواء وتدجين. والدليل على ذلك أن الأمازيغية شهدت موت كل الإيديولوجيات الدخيلة التي انتقلت إلى بلاد تامازغا من الخارج منذ الفينيقيين إلى اليوم. أما هي فلا زالت حية قوية لأنها بنت هذه الأرض وهذه الجبال. وستشهد لا محالة موت موضة الإيديولوجية الإسلاموية كما شهدت قبلها موت االإيديولوجية البعثية واليسارية والقومانية بالمغرب. فليس هناك شيء أرسخ قدما وأثبت أصلا بالمغرب من الأمازيغية التي سبقت كل المذاهب والإيديولوجيات والأنظمة، وستبقى بعد موت هذه الأخيرة وانقراضها ". لقد أنجب لنا فوكوياما نسخة أمازيغية عن " نهاية التاريخ والإنسان الأخير."
ويؤكد بودهان أنه خليفة فوكوياما- وربما هانتنجتون - عندما يعلن: " إن "معركة الحرف" الدائرة بين الأمازيغيين والإسلامويين فرصة مناسبة كان على الأحزاب، التي تدعي النضال من أجل الحداثة والتقدم والتسامح والديموقراطية والتعددية ورفض التطرف، أن تستغلها للدفاع عن هذه القيم الكونية، مقدمة الدليل العملي الملموس على تشبثها بهذه المبادئ العالمية بالوقوف إلى جانب الحركة الأمازيغية في مواجهتها للحزب الإسلاموي. "

لقد بلغت الجرأة بأحدهم (مولود الشعوي) أن كتب ما يشبه القصيدة، جعل عنوانها: "أبو لهب ليس جدي". ترى أي فرع في أجهزة الاستخبارات أوعز إليه بالعنوان؟. هل قال أحد على مدى القرون إنه ينتسب إلى أبي لهب؟. إن كل أطفال العرب يتعلمون في الخلوة والمكتب والكُتَّاب: "تبت يدا أبي لهب وتب". لكن عندما تحل اللاتينية محل العربية فلن يقولها من أحد أبدا.

إننا نحن العرب لم نحسن استثمار مناخ الوحدة يوم كان سائدا قبل عقود، ويبدو أننا سندفع ثمن التشرذم الثقافي والسياسي واللغوي، في إطار الشرق الأوسط الكبير.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

الأكراد والحروف اللاتينية

لقد كان من تداعيات الدعوة إلى الحرف اللاتيني أن أصابت العدوى الناطقين بلغات غير عربية، ومنهم الأكراد في المنطقة الواقعة في كل من سورية والعراق وتركيا وإيران. حتى إن توفيق وهبـي (1891- 1984م) سياسي عسكري وأديب باحث " نشر سنة(1933) رسالة مطولة بعنوان" القراءة الحديثة" بشأن استعمال الحروف اللاتينية في الكتابة الكردية..كما نشر كتابه الجديد" اللغة الكردية بالحروف اللاتينية. " (من مقال بقلم فائق محمد حسين)

ولم يكن من باب المصادفة أن يكون أحد أكبر المراجع عن اللغة الكردية من تأليف كردي يعيش في باريس منذ 1971 هو إسماعيل قمندار، صاحب كتاب: "كتاب اللهجات الكردية الجنوبية" . والكتاب مكتوب بالفرنسية. وهو حصيلة دراستين للماجستير والدكتوراه للمؤلف. واللهجة المدروسة لهجة شفوية يتحدث بها ما بين 10- 15% من الأكراد. وهكذا تتشظى اللغات واللهجات إلى أقصى الشوط. وكتابة هذه الدراسة بالفرنسية يكرس كتابة اللغة الكردية بالحروف اللاتينية.

وفي حوار حول اللغة الكردية ذكر أحد المشاركين (عبدا لحليم يوسف) "المأزق الآخر الذي تعرضت له اللغة الكردية هو ضياع الأبجدية الكردية (أضع الأبجدية الكردية بين قوسين) وتكريس الحرف العربي لكتابة اللغة الكردية."
وفي الرد على الفكرة السابقة عقب أحدهم (دحام عبد الفتاح) " لم تكن هناك أبجدية خاصة بالأكراد تكتب بها اللغة الكردية قبل الإسلام. لذا ربما نكون مجحفين إذا قلنا: جاء الإسلام وضيّع ـ تحت تأثيره ـ الأبجدية الكردية. فاللغة الكردية كانت تكتب بالآرامية، وقبل ذلك بالبهلوية."

يؤرخ لبداية النشاط الكردي في العصر الحديث بسنة 1898، مع صدور صحيفة "كردستان" في القاهرة، والتي نشرها الأمير مقداد مدحت بدرخان. لكن بخصوص حروف الكتابة لم تشر المعلومات المتاحة إلى الأبجدية التي كتبت بها مجلة كردستان. لكن يذكر عن حقبة لاحقة أن: "أحد الذين أسسوا جمعية "خويبون" هو الأمير جلادت بدرخان الذي يحمل شهادة في الحقوق من ميونيخ وطالب دكتوراه في القانون. التحق بثورة آرارات، وبعد تحالف الإيرانيين والروس والأتراك أجهضت الثورة، فاضطر للإقامة في سوريا أثناء الانتداب الفرنسي، ثم حصل على موافقة بنشر مجلة كردية بأحرف لاتينية للمرة الأولى في تاريخ الأكراد، في عام 1932، وكان اسمها "هاوار" (النجدة). " . وصدر من هذه المجلة 37 عدداً متقطعاً خلال 10 سنين. وفي عام 1952 أصدر ملحقاً تابعاً لمجلة "هاوار" باسم "روناهي" (الضوء) بالحروف اللاتينية.

ويفصل الشاعر الكردي (كوني رش) فيذكر أن " الأعداد الـ 24 الأولى من صحيفة "هاوار" كانت بالأبجدية العربية واللاتينية، أما الأعداد اللاحقة حتى العدد 57 فنشرت باللاتينية فقط."

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

وتجلى دور هذه المجلة في كونها " ساهمت في تأسيس الأبجدية الكردية اللاتينية، وتكريس الحرف اللاتيني الكردي، وقد تم تعميم ذلك على الصحافة الكردية برمتها. "

ويرصد المتابع شيوع تعبيرات على ألسنة الأكراد اليوم من قبيل: " أكراد الشتات " و"المعاناة التاريخية للشعب الكردي " و" العودة إلى اللغة الكردية "

في عام 1991 صدرت مجموعة شعرية باللغة الكردية اسمها "على أبواب لالش" . فاعتبرت المجموعة أول كتاب كردي مكتوب بالحرف اللاتيني يصدر هو وترجمته في سوريا. يقول صاحب المجموعة دحام عبد الفتاح: " هل كنا نحلم قبل تاريخ الموافقة – موافقة وزارة الإعلام - على كتاب "لالش" بطباعة جملة كردية بالحرف اللاتيني؟ كلا." . لقد صار من المعلوم أنه في عصر الإنترنت، لم يعد الأكراد و غيرهم في حاجة إلى موافقة أحد لكي ينشروا ما يشاءون باللغة التي يشاءون وبالأبجدية التي يشاءون.

ولكن ما لا يثار إلا نادرا هو أن اللغة الكردية ليست لغة قياسية موحدة؛ " فهنالك اللهجة الكرمانجية التي يتكلمها 80% من أكراد العالم، اللهجة السورانية، اللهجة الهورامية، اللهجة الزازئية، واللهجة اللورية. خمس لهجات رئيسة، وكل منها تحتوي على لهيجات صغيرة محلية بحسب المناطق". (ملحق جريدة النهار اللبنانية، السبت 11 أيلول 1999)

و ينتقد هادي العلوي كتابة الكردية بالحرف اللاتيني قائلا: إن "اتجاه فريق من الأكراد اليوم إلى الخط اللاتيني لا يرجح إلى عيوب الكتابة بالخط العربي بل يأتي ضمن الموضة السائدة في تقليد كل ما هو أوربي وكان الأفضل لو رجع الأكراد إلى خطهم القديم فطوروه وكتبوا به" www.amude.com
وجاءه الرد من مزكين محمود(شاعرة كردية مقيمة في ألمانيا): إن " الأبجدية العربية وبكل أسف ناقصة تشل لساننا وقواعدنا الجميلة ..... وليس بوسعها ومقدورها استيعاب أحلامنا".
وأضافت لمحة تاريخية عندما ذكرت أن "الأحرف العربية كانت تعقد القراءة الصحيحة للنصوص الكردية وكانت تضعف الإملاء وتشل حركة القواعد، ولهذا دعا الزعيم الكردي المشهور عبد الرزاق بدرخان إلى إنشاء أبجدية كردية على أساس الحروف الروسية؛ فالحروف الروسية حسب رأيه أكثر استيعابا، كما وأنها ستساعد الجيل الكردي من التقرب من الثقافة الروسية الطليعة . وفعلاًتم له ذلك .... ففي عام 1920 وضع المستشرق الروسي "آوريل " والذي كان على علاقة جيدة مع الأمير والشعب الكردي وضع الأبجدية الروسية في خدمة اللغة الكردية. ثم جاء الأمير جلادت بدرخان وأصدر مجلة " هوار " عام 1932 والتي كانت تصدر مرتين في الشهر وبداية نشرت موادها بالأبجديتين العربية واللاتينية وابتداء من العدد 24 بدأت بالصدور بالأبجدية اللاتينية وتمكن جلادت بدرخان من إنشاء قواعد اللغة الكردية بالأحرف اللاتينية". www.amude.com

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

و من كلامها السالف يتبين الذراع الاستعمارية في المسالة اللغوية. كما يتبين أنه كما يمكن أن يكون التنوع البشري خلاقا، فإنه من الممكن أن يؤدي إلى ظاهرة الهوتو والتوتسي في رواندا سنة 1994 .

نقلت محطة CNN 13/04/04خبرا بعنوان "البشمرجة الكردية تشارك القوات الأمريكية حصارالفلوجة"
http://arabic.cnn.com/2004/middle_east/4/13/iraq.fallujah_latest/index.html
فإن كان الخبر صادقا فتلك واحدة تضاف إلى مصائبنا، وإن كان الخبر ملفقا فإنه برغم ذلك يظل مؤشرا يؤكد التوجه نحو تفتيت الحالة العربية، عبر القضية اللغوية.

إن حسن النية – على افتراض توفره لا ينفي الواقعة التاريخية المعروفة، عندما حملت الكتب العربية في تركيا على ظهور المطايا، ووجهت لتنطلق نحو الصحراء. يومها قال أتاتورك: " لقد جاءت من الصحراء، وإلى الصحراء يجب أن تعود". لم يقف الأمر عند الرغبة في تيسير الكتابة، وإنما تحول الأمر إلى عداء لكل ما هو عربي. وهذه الروح العدائية يمكن أن ترصد في مواقف الأمازيغ بعد أن اعتمدوا الحرف اللاتيني بشكل كامل و نهائي سنة 1997، بعد أن ظلت الأمازيغية تكتب بالحرف العربي منذ أيام الزعيم الموحدي المهدي بن تومرت، بل منذ الفتح الإسلامي للمغرب.
و من الأمازيغ في المغرب العربي إلى الأكراد في الشام والعراق إلى الطوائف المسيحية في عدد من البلدان العربية، لا يستبعد أن يكون لكل مجموعة مشروعها اللغوي، الذي ينأى بعيدا عن العروبة. ولا سيما بعد تدشين مشروع الشرق الأوسط الكبير.

- **الشرق الأوسط الكبير: تجميع أم تفتيت؟**

الاتفاقيات الدولية – اتفاقية الشراكة الأوروبية السورية كمثال - تنطلق من مبدأ (وحسب وجهة نظر الأوربيين) " فتح باب الحوار مع دول العالم الأخرى لبناء الجسور الثقافية والمعلوماتية والسياسية بين أوربا ودول العالم". أمثال هذه الاتفاقيات يتم التركيز فيها بشكل مبالغ فيه على قضايا من قبيل الحقوق الثقافية للأقليات في البلاد العربية، ومن ضمنها بطبيعة الحال قضايا اللغة (يسمونها لغات الشعوب الأصلية) وتدوينها بالحرف العربي أو اللاتيني.

تداعيات الكتابة بالحرف اللاتيني: النوبة أيضا

حاول فـؤاد عكـود أن يثبت قدر طاقته أن للغة النوبية أبجدية خاصة، فمن ذلك قوله:
"عندما دخل النوبيون في الدين المسيحي في حوالي القرن السادس الميلادي واحتاجوا إلى ترجمة الإنجيل إلى لغتهم إلى جانب كتابة التعاليم الدينية ، قاموا باستعارة الحروف القبطية التي كان الأقباط في مصر قد استعاروها بدورهم من الحروف اليونانية وأضافوا إليها حروف من اللغة الديموطيقية ، وأصبحت بذلك اللغة النوبية لغة قراءة وكتابة بعد أن كانت لغة تخاطب فقط .

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

وقد تأثرت اللغة النوبية بالعديد من اللغات مثل المروية والمصرية القديمة والقبطية واليونانية وأخيرا العربية". (العدد الأول من إصدارة ((نباتـــا)) الإخبارية الإلكترونية NAPATA.ORG في 2001)
ويذكر أن النوبيين قد أضافوا إلى الحروف القبطية ثلاثة حروف لتوافق النطق النوبي ، وهذه الحروف وهي تشاي σ ونقاي V ونجاي φ . ثم يذكر أن اللغة النوبية مكونة من 17 حرفا ساكنا هي : b g d k l m n r v s t f c h q V
أما الحروف المتحركة فهي خمسة: a e i o u
و حرفان نصف متحركان : y– w

الأدب النوبي موجود بوجود أدباء من النوبة يكتبون بالعربية وبالنوبية. لكن الجديد أن هناك من يصر على تدوين هذا الأدب بأبجدية غير عربية على كل حال. (http://www.napata.org)
وبرغم أن العربية تزهو بإبداعات شعراء وكتاب من النوبة، إلا أن هناك رغبة قد برزت تكافح من أجل نشر تلك الإبداعات، مع شرط جديد هو كتابتها بالأبجدية اللاتينية. وفي الموقع أعلاه نماذج من الشعر النوبي مدونا بالأحرف اللاتينية.

وتحت عنوان: قصتي مع الحرف النوبي كتب د. عبد القادر شلبي: "بدأت رحلتي .. بحثاً عن الحرف النوبي في منتصف الثمانينات مع مجموعة (فاي Fay) حتى التقيت الشاعر مصطفى عبد القادر (أدندان) في شتاء عام 1990، وكان يحمل معه ما بدا لي إنها حروف لاتينية مطبوعة للأصوات النوبية، ولكنه أكد أنها الحروف ذاتها التي استعملت في القرن السادس الميلادي".

وفي إريتريا بعد استقلالها سنة 1993 أقدمت الحكومة على إغلاق العديد من مدارس اللغة العربية في إقليم عشبا غرب العاصمة الإريترية، وإجبار مدارس أخرى على تدريس العلوم باللغة التيجيرية بدلاً من العربية . (القومية التيجرية ينتمي إليها الرئيس أسياس أفورقي ومعظم أعضاء حكومته).

جدول الحروف النوبية كما نقلها موقع نباتا عن كتاب:
,Dr. Mukhtar Khalil Kabbara
Nubian Language: How to write it," published by The Nubian Studies"
.and Documentation Center, Cairo, Egypt 1997

التنوع الثقافي و التمزق الوطني

" إذا استُع فظت بغتها "

عندما تعجز أقلية عن إحياء لغتها التقليدية، فإنها تلجأ إلى لغة غير العربية؛ لا لشيء إلا لإثبات الاختلاف و التمايز. وما يساق من مبررات لغوية أو تربوية لا تعدو كونها غطاء لقرارات سياسية.
هناك جهود استعمارية لبعث المشاعر العرقية في بلدان عربية متجانسة سكانيا وثقافيا كمصر. فأهل النوبة الذين لا يعانون من أي شكل من أشكال التمييز ضدهم، قد ابتلوا بمن يثير الغبار في غير ما معركة. برغم أنهم مسلمون يتحدثون العربية مع لغتهم النوبية الشفهية.
كما برز اهتمام باللغة القبطية، وهو أمر ينطوي على الاهتمام بالتراث الثقافي، لكن يبقى هناك خوف مبرر من أن يستغل ذلك في محاولات خلق قطيعة مجتمعية يرسخها جدار لغوي عازل.

الحالة اللبنانية سياسيا ولغويا قد أمكن التعامل معها من خلال الشكل السياسي لإدارة البلاد، لكن الأمر في بلد كالسودان يفتقر إلى مقومات الاستقرار. وقد عانى السودان من العداء الصريح للتعريب من الجنوبيين. وأثيرت القضايا الاجتماعية السياسية في ثياب ثقافية. ففي اضطرابات دارفور الأخيرة (أبريل 2004) نقلت الأخبار الصورة في صياغة لغوية لا تخلو من دلالة ، إذ قالت: "إن مليشيات عربية تهاجم الأهالي في دارفور" . وكأن الأهالي ليسوا بعرب، أو كأن الحرب يشنها العرب ضد غير العرب في السودان!!.

هكذا يتم تقطيع أوصال الوطن العربي من أطرافه – و من أعماقه – في العراق والمغرب والسودان. والقضية مرشحة للاشتعال في مناطق التداخل اللغوي في تشاد وما يماثلها. أما في إرتريا فقد حسم السياسيون الأمر منذ يوم الاستقلال. والأمر في جيبوتي وجزر القمر ليس بأفضل منه في إرتريا.

قرار وزاري موقوف

كان أحمد جويلي –وزير التجارة الأسبق في مصر – قد أصدر قرارا يلزم المواطنين بكتابة اللافتات والإعلانات العامة باللغة العربية. ومنذ صدور القرار لم توجد أية شواهد على دخوله حيز التنفيذ ولو مرة واحدة. إما لعدم وجود جهة لمتابعة التنفيذ، أو لعدم النص على عقوبة للمخالفين، أو لأن تجميد القرار كان عمدا.
إن القيمة التربوية لكتابة اللافتات – وغيرها - بالعربية تكمن في فكرة التعرض Exposure . فالتعرض للدخل اللغوي input يجعله مألوفا، فيترسب تدرجيا في وعي أبناء اللغة. وفي بلد مثل فرنسا يفرضون على من يكتب لافتة بلغة أخرى غير الفرنسية أن يجعل حجم الحروف بالفرنسية ضعف حجم حروف اللغة الأخرى.
ومن جهة ثانية فإن هناك ارتباطا نفسيا بين اللافتات المكتوبة باللغة الأجنبية وبين مظنة الرقي؛ لذلك يحرص أرباب المحلات على وضع لافتات باللغة الأجنبية لأنها توحي بمستوى ممتاز من السلع و الخدمات، بغض النظر عن واقع الحال. ومعلوم أن الجمهور تسيطر عليه الانطباعات لا التأملات الناقدة.

” إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها “

لا يقتصر الأمر على كتابة اللافتات باللغات الأجنبية، بل تعدى إلى كتابة الكلمات الأجنبية بالحرف العربي، فتجد (لا بوار) و(جرين بلازا) و (فاست بريك).

العامية في عصر الفضائيات

" لقد عادت الدعوة للعامية أكثر نشاطا مما بدأت به عبر دعاتها السابقين، عادت تطبيقاً من خلال بعض الفضائيات والإذاعات الأهلية "

وعندما تضاف التباينات المذهبية إلى التنوعات اللهجية واللغوية تصبح أرضية المؤامرات مهيأة للحرث. وتصبح لكل مجموعة مذهبية خصائصها اللغوية تدريجيا. وشيئا فشيئا تتفسخ مشاعر الوحدة العربية. إن بلقنة الوطن العربي قد لا تتم كما يشتهي الغرب إلا عبر المواجهات اللغوية.

اكتشاف بحجم المآسي

نقلت مجلة البيان عن الأستاذ الجامعي التونسي (الهادي بالغ) مدرس اللغة الفرنسية، أنه قــال: إن "الحديث عن لهجة تونسية على غرار اللهجات العربية الأخرى أمر مغلوط وأوضـــــح : إن "اللغة التونسية" لغة أصيلة يعتمدها أفرد الشعب التونسي في تخاطبهم اليومي"، وهـــــي حسب رأيه "وإن تعرضت إلى ضغوطات سابقة نتيجة الاستعمار ، تظل دائماً محـــــافـظــة عـلى شخصيتها المستقلة ، وعلى كيانها اللغوي المتكامل والمتناسق" مجلة البيان – العدد 13 – ذو الحجة 1408هـ - أغسطس 1988م .

ترى هل اقتربت ساعة انفراط الكيان، كما وصفه الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل بأنه: " قريب الشبه بسرب طيور ضاع نظامه وتبعثرت أجنحته، كل منها مع ريح". ؟ أو ليست "اللغة كالإناء إذا كسر ضاع محتواه."؟

المـوَاجَهَـة باللّغـَات

سجل التاريخ مأساة سقوط الأندلس كما يعرف كل مطلع، لكن ما نود الإشارة إليه هنا هو أن فظائع الإرهاب المنظم ضد للمسلمين لم يتوقف عند فرض التنصر عليهم بالقوة، بل إن العمل البربري الشائن هو "جمع الكتب العربية... ومنها كثير من المصاحف البديعة الزخرف، وآلاف من كتب الآداب والعلوم، وأضرمت فيها النار جميعا، ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم" (محمد عبد الله عنان، 2003 ،ج 7 ص 316)

إنها الحرب أيها السادة. وحرب اللغات واحدة من أبرز تجليات الحرب. لقد أصدرت الملكة خوانا سنة 1511 أمرا " تلزم فيه جميع السكان الذين تنصروا حديثا سواء في غرناطة أو في غيرها من نواحي مملكة غرناطة، أن يسلموا سائر الكتب العربية التي لديهم، سواء في الدين أو الشريعة أو كتب الطب والفلسفة والتاريخ أو غيرها إلى قاضي الجهة، وذلك في ظرف خمسين يوما" (السابق ص 317)

وهكذا كان الويل كل الويل للمغلوب، " واعتبر التنصير الذي فرضه القوي على الضعيف، والظافر على المغلوب، والسيد على العبد، منشئا لصفة لا يمكن لإرادة معارضة أن تزيلها" (السابق ص 352)

تحريم اللغة العربية بالقانون

وكان من توابع الانتصار على العرب تجريدهم من السلاح ولو سكينا، وتجريدهم من لسانهم. ولما تظلم بعض العرب لدى الإمبراطور في غرناطة من بطش القوانين، ندب " لجنة محلية للتحقيق في أمر المورسكيين

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

(معناها الأصاغر) في سائر أنحاء غرناطة، ثم عرض نتائج بحثها على مجلس ديني قرر ما يأتي: أن يترك المورسكيون استعمال لغتهم العربية وثيابهم القومية.. " (السابق ص 354) ولم يكن قانون تحريم حمل السلاح على العرب " سوى مقدمة لقانون أقسى وأشد إيلاما، هو القانون الخاص بتحريم استعمال اللغة العربية.. " (السابق ص 357)

والأمر في شأن اللغة واضح؛ فقد "كانت الكنيسة ترى أن بقاء اللغة العربية من أشد العوامل لمنع تغلغل النصرانية في نفوس الموريسكيين، وأنه لابد من القضاء على ذلك الحاجز الصخري الذي تتحطم عليه جهود الكنيسة" فلا عجب أن سعت الكنيسة لإقناع الملك، الذي أمر سنة 1566 بتجديد القانون القديم بتحريم اللغة والثياب العربية. وهو القانون الذي لا يجاريه في الهمجية سوى قانون القيافة وقانون تحريم اللغة العربية الذي أصدره أتاتورك.

كان القانون الذي أمر به الملك فيليب يقضي بأن "يمنح الموريسكيون ثلاثة أعوام لتعلم اللغة القشتالية، ثم لا يسمح بعد ذلك لأحد أن يتكلم أو يكتب أو يقرا العربية أو يتخاطب بها، سواء بصفة عامة أو بصفة خاصة. وكل معاملات أو عقود تجري بالعربية تكون باطلة ولا يعتد بها لدى القضاء أو غيره..." (السابق ص 358)

"وكان إحراز الكتب والأوراق العربية، ولا سيما القرآن، يعتبر في نظر السلطات من أقوى الأدلة على الردة (عن النصرانية) ويعرض المتهم لأقسى أنواع العذاب والعقاب" (السابق ص 360)

هكذا " كانت السياسة الأسبانية تضيق ذرعا بالعربية، وتزداد منها توجسا؛ فعادت في عهد فيليب الثاني لتتخذ خطوتها الحاسمة في القضاء عليها. وصدر في سنة 1566 قانون جديد صارم يحرم على الموريسكيين التخاطب بالعربية أو التعامل بها.. وطبق القانون بمنتهى الشدة. وكانت العربية قد أخذت تغيض شيئا فشيئا في غمر العسف والاضطهاد" (السابق ص 494)

جدوى بقاء الحرف

وإذ ذاك " لم تمض فترة قصيرة على تطبيق القانون الجديد بتحريم العربية نهائيا، وفرض القشتالية لغةً للتخاطب والتعامل على الموريسكيين، حتى اختفت المظاهر والآثار الأخيرة للعربية. ومع ذلك فقد وجد الموريسكيون في القشتالية ذاتها متنفس تفكيرهم وأدبهم القديم، فكانوا يكتبون القشتالية سرا بأحرف عربية " (السابق ص 494)

ربما يقول قائل إن القشتالية ليست هي العربية، فما جدوى كتابتها بالحروف ا لعربية؟ الحق أننا نلتمس الجواب في تعليق المستشرق سافدرا الذي يقول: "إن الطابع الديني الذي كان يفصل بين الموريكسيين وباقي الأسبان يطغى على إنتاجهم الأدبي، وكأنما هو قرين طبيعي للمنتجات العربية، فهم لكي يحتفظوا بجذوة حية من ا لعقيدة المحمدية، كتب العلماء والفقهاء كتبا عما يجب أن يعتقده وأن يحفظه كل مسلم حسن الإيمان عن صفات الله، وعن بعض المسائل الفقهية وفقا لمذهب مالك، وكتبوا عن التاريخ المقدس، والقصص الديني وتعبير الرؤيا وغير ذلك" (السابق ص 495)

لكن بيت القصيد في الموضوع برمته هو استمرار قدرة الموريسكيين على كتابة المصحف الشريف، الذي لا يمكن كتابته بغير الحرف القرآني. وفي

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

هذه النقطة بالتحديد تكمن الغاية الأولى لمخطط فرض الحروف اللاتينية، بالأمس واليوم والغد. إنما يتذكر أولوا الألباب.

لقد تم الربط بين الإسلام والإرهاب، بقطع النظر عن مدى صوابية هذا الربط، لكن هذا هو الحاصل اليوم فعلا. وقد تم الربط بين التعريب والأسلمة. " أحد الآراء ينتشر انتشارا واسعا اليوم، ومفاده أنَّ التعريب يقود الجزائر إلى النزعة الإسلامية". وهذا الارتباط بين التعريب والأسلمة قائم في أذهان الباحثين الغربيين والعرب وفي أذهان الإسلاميين أيضا. " الذهنية الشعبية التي تخلط بين مدرس العربية والفقيه والإمام " ويصرح غرانغيـوم برأيه "إنه يمكن فهم سياسة التعريب باعتبارها محاولة لنقل شرعية الإسلام إلى الدولة، بواسطة اللغة العربية"
ومع تصاعد الهجمة الحالية على التوجهات الإسلامية تصاعدت الهجمة على التعريب وعلى اللغة العربية.
ومع الشروع في التعريب في الجزائر أثيرت التساؤلات عن جودة التعليم. وكأن الرقي مرتبط دوما بالتغريب. وقد كانت "أغلبية كبرى من الرأي ترى أن اللغة الفرنسية ظلت لغة للنجاح الاجتماعي على الرغم من التعريب."
ومن جهة أخرى " فمنذ السنوات الأولى للاستقلال، وبالخصوص إبان الانتفاضة القبائلية في عام 1963. أحست الأوساط البربرية بسياسة التعريب كأنها خطر" أو هكذا صور الناشطون البربر الأمر. ونفخ الباحثون في النار، كما عبرت " فاني كولونا" عن نشاط ابن باديس بأنه "الحركة الإصلاحية التي طالما تمَّ اعتبارها بواكير للحركة الوطنية الجزائرية لم تكن في الواقع سوى قمع عنيف للثقافة الجزائرية العميقة ".
بعد أن ينسب غرانغيوم إلى ثقافة اللغة العربية العنف و النكوص والجمود، فإنه لا يفوته أن يعرج على الحرف العربي، فيذكر أن " حروف الكتابة اللامكتملة التي أتاحت تدوين القرآن كانت في الأصل مجرد مُسَاعدات للذاكرة. وقد احتفظتْ الكتابة العربية بشيء منها: فالنصّ يتألف فقط من الصوامـت (السواكن)، ولا يمكـن قراءتـه والعثور على معناه إلا بإضافة صوائت (حركات) لا تظهر عادة إلا في القراءة الجهرية."
جلبير غرانغيـوم 1996 . ترجمة: محمد Grandguillaume, Gilbert
أسليــم، عن موقع: http://grandguillaume.free.fr/maq/confrontation.htm

حملات منظمة مشبوهة

في إطار حملة التهوين من شأن الرابطة الإسلامية، و الحط من شأن مفهوم الأمة الواحدة، والتشكيك في ثوابت الهوية العربية، يمكن أن نقرأ سلسلة مقالات في صحف واسعة الانتشار. وموطن الخطر في الأفكار التي يروج لها أنها تفقد العربية مبررات كونها اللغة الوطنية الرسمية للدولة المصرية. وبخاصة حين يدعو بعضهم إلى قطيعة الماضي، ويجعل فكرة التجديد معادية لفكرة الوحدة العربية، ويرى أن ماضينا كله "سخافات وجهالات لا يصح الافتخار بها".
حقا إن من هانت عليه نفسه فلن يكرمه أحد. ومصداقا لهذه الحقيقة نجد أن اللغة العربية " لم تدرج ضمن اللغات المعتمدة في اتفاقية الجات، بكل ما يترتب على ذلك من أعباء إضافية على صعيد الأنشطة الاقتصادية والتجارية،

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

والتقليل من فرص العمل أمام من هم خارج النخبة اللغوية العالمية". (نبيل علي، 2003، 66)

هناك حركة مقابلة لحركة الاستشراق، لكنها مؤازرة لها في أهدافها. تلك الحركة يمكن أن يطلق عليها "الاستغراب". وكتابة العربية بالحرف اللاتيني ستجعلنا نسمع عن شارع الهرم بدلا من شارع الحرم، وعن الشرك الأوسط بدلا من الشرق الأوسط. فهل صارت الهيمنة الثقافية تعني قبر اللغة القومية؟! لا يستبعد أن يقال قريبا للطالب العربي "هذه الحروف اللاتينية إرث إنساني عالمي لا يرتبط باستعمار ولا بدولة معينة." وعليه، فما الضير من أن تصير هناك أبجدية عولمية؟!
يحلم فريق من العرب المستغربة أن تحذف من الدساتير العربية كل عبارة تنص على إن اللغة الرسمية للبلاد هي العربية، وأن دينها هو الإسلام.
والتلازم بين الأمرين أو المطلبين مفهوم لمن أراد أن يفهم.
لقد نجحت الآلة الإعلامية في خلق ارتباط شرطي على طريقة بافلوف بين الإسلام والعنف من جهة، وبين العروبة والتخلف من جهة ثانية. وكأن الحداثة صارت هي عين التحديث، وكأن التحديث والتغريب هما شيء واحد.
خاتمة
سكت الذين كتبوا عن معايب الخط العربي عما قاله مستشرقون مخضرمون من أمثال " ريتر" أستاذ اللغات الشرقية بجامعة استنبول، كقوله بعد قرار أتاتورك بإلغاء الخط العربي: "إن الطلبة قبل الانقلاب كانوا يكتبون ما أملي عليهم من محاضرات بسرعة فائقة؛ لأن الخط العربي اختزالي بطبعه. أما اليوم فهم يفتأون يطلبون إعادة العبارات مرارا، وهم معذورون فيما يطلبون؛ لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها".
وهو نفسه القائل: "إن الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح". عن (السيد رزق الطويل، 1986،24)

إنّها لعبة الصراع الفكري كما قال المفكر الجزائري مالك بن نبي. ولكن، تحت لافتة مكافحة الإرهاب تمرر كل القرارات. و تحت شعار نشر الحرية والديمقراطية تثير الأجهزة الأمريكية المشكلات التي من شأنها زعزعة الأوضاع في السودان وسوريا والمغرب العربي، وفي سبيل ذلك تستغل قضايا الأكراد و الأمازيغ وغيرهم بما يحقق خططها. ويلخص فهمي هويدي **17/05/2001** الوضع الجزائري في أن "ما أراده الاستعمار للجزائر تم إنجازه في عهد الاستقلال" إنها بحق "القابلية للاستعمار" بتعبير مالك بن نبي، أو "ثقافة الانصياع" بتعبير صلاح حافظ.

وكما استغلت الإدارة الأمريكية محتوى " تقرير التنمية الإنسانية العربية" الأول 2002، والثاني 2003 لتسويق مشروعاتها، فمن غير المستبعد أن تفعل الشيء نفسه بتقرير "بن زاغو". ليس هذا فحسب، بل إنها تستطيع أن تخلق في كل بلد "أبناء زاغو" حسب المراد. وربما يحلو لرجال السلطة أن يجدوا في اللغة العربية مبررا يحملونه فشل الحكومات في علاج البطالة و الفساد وانعدام التنمية.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

وإن كان تقرير بن زاغو – بدعوته إلى فرنسة التعليم و تدريس الفرنسية من الصف الثاني الابتدائي- قد حظي ببعض النقد و الاستنكار من المتابعين، فإن قرارات السعودية وقطر والبحرين ومصر بتدريس الإنجليزية من الصف الأول لم تلق مثل ذلك.

يحق لكل شخص فردا أن يختار اللغة التي يرغب أن يتلقى بها دراساته، وله أن يختار العلوم التي يدرسها. لكن اختيارات الأفراد شأن مختلف عن صناعة السياسات العامة؛ فصانعو السياسات التربوية لا يحق لهم القفز فوق هوية المجتمع والتيار العام لثقافة أغلبية عناصره. وقد يكون مقبولا في ظل ا لمتغيرات العالمية أن يمول شخص أو هيئة مؤسسة تعليمية تقدم مقررات باللغة الأجنبية. لكن أن تتبنى الدولة نفسها تحويل مدارسها الرسمية إلى مدارس تقدم المقررات باللغة الأجنبية فهذا تحويل رسمي لمسار الثقافة. انظر (ياسر الصيرفي، 2003)

إن كتابة الحرف البربري باللاتينية معناه أن منطقة المغرب العربي قد رُبطت بالعالم الغربي، وتم الاعتداء على هويتها، بغير حاملات طائرات أو قاذفات قنابل. والأمر بالنسبة للغة الكردية أوضح من التعبير عنه بالكلمات. وفي هذه الحال يصبح الكلام عن الإصلاح والتطوير مجرد لغو. ولا يخفى على عاقل أن محاولة فرض نمط ثقافي إنما هي عملية تسهيل لفرض الهيمنة الاقتصادية والعسكرية.

وبالإضافة لكل ما تقدم ننبه إلى أننا إن اعتمدنا الحرف اللاتيني لكتابة العربية – لا قدر الله- فإننا سوف نضيف إلى رصيد الأميين في العالم العربي بضعة ملايين، فور صدور القرار. إنها عملية تشبه تحول الأغنياء إلى فقراء فور صدور قرار بتخفيض سعر العملة الوطنية. مع فارق التشبيه، فالأمر هنا يشبه إلغاء العملة الوطنية من التداول نهائيا.

والاقتراحات التي قدمت حول الكتابة بالحرف اللاتيني أو غيره من شأنها أن تهدد فن الخط العربي. وبزوال جمالية الخط العربي تزول " ثقافة الخط" التي هي شكل متفرد من أشكال الإبداع.
ولئن كان للإيسسكو مشروعاتها لإعادة كتابة اللغات الأفريقية بالحرف القرآني، فإن أمامها وأمام غيرها مهمة أكبر، هي إنقاذ اللغة العربية نفسها من الانحدار إلى مستنقع الفتنة غير النائمة.

مراجع
1- أحمد أبو زيد (2004)
" **هوية الثقافة العربية** "، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
2- أمير طاهري (1993)
"**خطر فقدان الذاكرة التاريخية والتراث الحضاري**" مقال منشور بجريدة الشرق الأوسط اللندنية، عدد 5220 في 14/3/1993
3- إميل يعقوب (1986)
" **الخط العربي: نشأته، تطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه**"، جروس برس، طرابلس-لبنان.

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

4- أنور الجندي (1983)
"**المعارك الأدبية في مصر منذ *1914 - 1939***" ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
5- الجنيدي خليفة (د.ت)
" **نحو عربية أفضل** " ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
6- زينب حسن (1986)
" **التعليم في مصيدة التبعية**" ، في: "مجلة دراسات تربوية" المجلد الثاني-الجزء الخامس، ديسمبر 1986، ص ص 165-212 .
7- السيد رزق الطويل (1986)
" **اللسان العربي والإسلام**"، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
8- عبد الجبار جعفر وهيب القزاز (1981)
" **الدراسات اللغوية في العراق**" دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق.
9- عبد العزيز سعيد الصويعي (1989)
"**الحرف العربي: تحفة التاريخ وعقدة التقنية**"، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا.
10- عبد العزيز فهمي (د.ت)
" **الحروف اللاتينية لكتابة العربية** "، دار العرب للبستاني، القاهرة.
11- عباس محمود العقاد(1982)
" **أشتات مجتمعات في اللغة والأدب**"، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر
12- عباس محمود العقاد (1988)
" **اللغة الشاعرة**" مكتبة غريب ، القاهرة.
13- عثمان صبري (1964)
" **نحو أبجدية جديدة** "، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
14- لوثروب ستودارد Lohtrop Stoddard (1971)
"**حاضر العالم الإسلامي**" ، ج 3،(ص ص 389-393) ترجمة/ عجاج نويهض، وتعليقات/ شكيب أرسلان. دار الفكر، بيروت.
15- محمد شوقي أمين 1977
" **الكتابة العربية**" ، سلسلة كتابك ، عدد 52، دار المعارف بمصر.
16- محمد عبد الله عنان 2003
"**دولة الإسلام في الأندلس**" الجزء السابع. طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة، القاهرة.
17- محمد محمد حسين (1956)
"**الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**"، الجزء الثاني، ص ص 357-363. مكتبة الآداب، القاهرة.
18- محمد موفاكو (1983)
"**الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية**" ، عالم المعرفة، الكويت.
19- محمود محمد شاكر (2003)
"**جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**"،الطبعة الأولى، مجلدان، جمعها عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
20- نبيل علي (2003)
" **تحديات عصر المعلومات**"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
21- نادر فرجاني(محرر رئيس) 2003
" **تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام *2003***" ، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي،النسخة العربية الإلكترونية من موقع الأمم ا لمتحدة على الشبكة. ص ص 121-126
22- نفوسة سعيد زكريا (1964)
" **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**"، دار المعارف بمصر.
23- ياسر أحمد كامل الصيرفي 2003

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "

" **تشريعات التعليم و دورها في القضاء على اللغة العربية**"، دار النهضة العربية بالقاهرة.
24-" ***الموسوعة العربية العالمية***"، الإصدار الإلكتروني، شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي، الرياض، 2004 م www.intaaj.net

{استفاد كاتب هذه الورقة من عشرات الصفحات على الإنترنت، لكنه عجز عن توثيق بعضها وعن نسبة كل قول إلى قائله بدقة؛ لكثرة المقالات أو لسوء تنسيق بعض الموقع، أو لوجود المقال بغير توقيع، أو لوجود المقال نفسه في أكثر من موقع في آن واحد.
وكل ما جاء غير منسوب بين "علامتي تنصيص"، فهو من المنقول }

" إذا استُعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها "